بشاشة الإيمان

تأليف
الكاتب الإسلامى
الشيخ / بكر محمد إبراهيم

الشيخ / بكر محمد ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، أشهد أن لا إله إلا الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله.

وبعـــــد ...

فهذا كتاب فى العقائد الإسلامية الصحيحة وما خرج عليها فهو الضلالة والهوى .

يضم أركان الإيمان وتعريف العبادة الصحيحة ، والعلم فريضة على كل مسلم وهذا العلم المفروض هو العلم الذى تصح به العبادة وتسلم به العقيدة .

وقد أخذت فصوله من منهاج المسلم ليكون المسلم على هدى وبصيرة والعقيدة هى التى تحرك العمل فإذا سلمت العقيدة صح العمل وكان مقبولا وإلا كان هباء منثورا .

والحمد لله ، والله من وراء القصد .

المؤلـــــف

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

هذا الفصل من أخطر هذه الفصول شأناً، وأعظمها قدرا، إذ حياة المسلم كلها تدور عليه، وتتكيف بحسبه، فهو أصل الأصول فى النظام العام لحياة المسلم بكاملها.

الإيمان بالله تعالى:

المسلم يؤمن بالله تعالى بمعنى أنه يصدق بوجود الرب تبارك وتعالى وأنه عز وجل فاطر[١] السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء[٢] ومليكه، لا إله إلا هو، ولا رب غير. وأنه جل وعلا موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقصان، وذلك لهداية الله تعالى له قبل كل شيء[٣] ثم للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١- إخباره تعالى بنفسه عن وجوده وعن ربوبيته للخلق وعن أسمائه وصفاته وذلك فى كتابه الكريم، ومنه قوله عزل وجل: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا[٤] .والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر ،تبارك الله رب العالمين﴾. سورة الأعراف وقوله لما نادى نبيه موسى عليه السلام

---

(١) خالق.

(٢) خالق كل شئ ومربيه ومغذيه بالنعم ومالك أمره.

(٣) مصداق هذا قوله تعالى :«وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله»

(٤) سريعا.

بشاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ﴿ياموسى إنى أنا الله رب العالمين﴾ سورة القصص. وقوله : ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ سورة طه.

وقوله فى تعظيم نفسه ، وذكر أسمائه وصفاته: : ﴿هو الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ سورة الحشر.

وقوله فى الثناء على نفسه :﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ سورة الفاتحة. وقوله فى خطابنا نحن المسلمين: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ سورة الأنبياء. وفى آية -المؤمنون- :﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ وقوله فى إبطال دعوى وجود رب سواه ، أو إله غيره في السموات أو في الأرض قوله :﴿قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ سور الأنبياء.

٢- إخبار نحو من مائة وأربعة وعشرين ألفا من الأنبياء والمرسلين بوجود الله تعالى وعن ربوبيته للعوالم كلها، وعن خلقه تعالى لها وتصرفه فيها وعن أسمائه وصفاته، وما منهم من نبى ولا رسول إلا وقد كلمه الله تعالى أو بعث إليه رسولا أو ألقى فى روعه [(١)] مايجزم معه أنه كلام الله ووحيه إليه.

فإخبار هذا العدد الكبير من صفوة الخلق وخلاصة البشر يحيل العقل البشرى تكذيبه كما يحيل تواطؤ[(٢)] هذا العدد على الكذب وإخبارهم بما لم

(١) الروع : القلب والعقل.

(٢) التواطؤ: الاتفاق على الشئ وإقرار البعض البعض الآخر.

يعلموا ويتحققوا ويجزموا بصحته ويتيقنوا، وهم من خيار البشر وأطهرهم نفوسا، وأرجحهم عقولا، وأصدقهم حديثا .

٣- إيمان البلايين من البشر واعتقادهم بوجود الرب سبحانه وعبادتهم له وطاعتهم إياه، فى حين أن العادة البشرية جارية بتصديق الواحد والإثنين فضلا عن الجماعة والأمة والعدد الذى لايحصى من الناس، مع شاهد العقل والفطرة على ما آمنوا به وأخبروا عنه، وعبدوه وتقربوا إليه.

٤- إخبار الملايين من العلماء عن وجود الله وعن صفاته وأسمائه وربوبيته لكل شىء، وقدرته على كل شىء وأنهم لذلك عبدوه وأطاعوه وأحبوا له وأبغضوا من أجله .

الأدلة العقلية:

١- وجود هذه العوالم المختلفة، والمخلوقات الكثيرة المتنوعة، يشهد بوجود خالقها وهو الله عز وجل، إذ ليس هناك فى الوجود من ادعى هذه العوالم وإيجادها سواه. كما أن العقل البشرى يحيل وجود شئ بلا موجود، بل إنه يحيل وجود أبسط شىء بلا موجود، وذلك كطعام بلا معالج لطبخه أو فراش على الأرض بلا مفرش له فيها، فكيف إذا بهذه العوالم الضخمة الهائلة من سماء وما حوت من أفلاك وشمس وقمر وكواكب، وكلها مختلفة الأحجام والمقادير والأبعاد والسير، والأرض وما خلق فيها من إنسان وجان وحيوان مع مابين أجناسها وأفرادها من تباين فى الألوان والألسن، والاختلاف فى الإدراك والفهوم، والخصائص والشيات[1] وما أودع فيها من معادن مختلفة الألوان والمنافع. وما أجرى فيها من أنهار، وما أحاط يابسها بأبحار، وما أنبت فيها من

---

(١) الشية : العلامة ، والجمع شيات.

نبات وأشجار تختلف ثمارها، وتتباين أنواعها وطعمها وروائحها، وخصائصها وفوائدها.

٢- وجود كلامه عز وجل بين أيدينا نقرأه ونتدبره، ونفهم معانيه فهو دليل على وجوده عز وجل. لأنه يستحيل كلام بلا متكلم، ولا قول بدون قائل.

فكلامه تعالى دال على وجوده، ولاسيما وأن كلامه تعالى قد اشتمل على أمتن تشريع عرفه الناس، وأحكم قانون حقق الخير الكثير للبشرية، كما اشتمل على أصدق النظريات العلمية، وعلى الكثير من الأمور الغيبية، والحوادث التاريخية، وكان صادقا فى كل ذلك أيما صدق، فلم يقصر على طول الزمان حكم من أحكام شرائعه عن تحقيق فوائده، مهما اختلف الزمان والمكان، ولم تنتقض فيه أدنى نظرية من تلك النظريات العلمية، ولم يتخلف فيه غيب واحد مما أخبر به من الأمور الغيبية كما أنه لم يجرؤ مؤرخ كائنا من كان علي أن ينقض قصة من القصص العديدة التى ذكرها فيكذبها، أو يقوى على تكذيب أو نفى حادثة من الحوادث التاريخية التى أشار إليها أو فصلها.

فمثل هذا الكلام الحكيم الصادق يحيل العقل البشرى أن ينسبه إلى أحد من البشر، إذ هو فوق طوق البشر، ومستوى معارفهم، وإذ بطل أن يكون كلام بشر، فهو كلام خالق البشر، وهو دليل على وجوده تعالى وعلمه وقدرته وحكمته.

٣- وجود هذا النظام الدقيق المتمثل فى هذه السنن الكونية في الخلق والتكوين، والتنشئة والتطوير لسائر الكائنات الحية فى هذا الوجود فإن جميعها خاضع لهذه السنن متقيد بها لايستطيع الخروج عنها بحال من الأحوال. فالإنسان مثلا يعلق نطفة في الرحم ثم تمر به أطوار عجيبة لادخل لأحد غير الله فيها يخرج بعدها بشرا سويا، هذا في خلقه وتكوينه، وكذلك الحال في تنشئته وتطويره، فمن صبا وطفولة إلي شباب وفتوة، إلى كهولة وشيخوخة.

وهذه السنن العامة في الإنسان والحيوان هى نفسها فى الأشجار والنباتات ومثلها الأفلاك العلوية والأجرام السماوية، فإنها جميعها خاضعة لما ربطت به من سنن لا تحيد عنها، ولا تخرج عن سلكها، ولو حدث أن انفرط سلكها، أو خرجت مجموعة من الكواكب عن مداراتها لخرب العالم، وانتهى شأن هذه الحياة.

على مثل هذه الأدلة العقلية المنطقية، والنقلية السمعية، آمن المسلم بالله تعالى، وبربوبيته لكل شئ، وإلهيته للأولين والآخرين. وعلى هذا الأساس من الإيمان واليقين تتكيف حياة المسلم فى جميع الشؤون.

الإيمان بربوبية(١) الله تعالى لكل شئ

يؤمن المسلم بربوبيته تعالى لكل شئ، وأنه لاشريك له فى ربوبيته لجميع العالمين وذلك لهداية الله تعالى له أولا، ثم للأدلة العقلية والنقلية الآتية ثانيا.

الأدلة النقلية::

١- إخباره تعالي عن ربوبيته بنفسه، إذ قال تعالي فى الثناء على نفسه : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ . وقال في تقرير ربوبيته :﴿قل من رب السموات والأرض قل الله﴾ سورة الرعد١٦ . وقال في بيان ربوبيته وألوهيته: ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين لا إله إلا هو يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ سورة الدخان٨ .

وقال فى التذكير بالميثاق الذى أخذه على البشر وهم فى أصلاب آبائهم بأن يؤمنوا بربوبيته لهم، ويعبدوه ولا يشركوا به غيره: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى

(١) الربوبية :الاسم من الرب، ومعنى ربوبيته تعالى للأشياء كونه ربا لها، أى خالقا لها، ومدبرا لأمرها.

آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ . سورة الأعراف ١٧٢. وقال في إقامة الحجة على المشركين وإلزامهم بها: ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾ سورة المؤمنون٨٦-٨٧.

٢- إخبار الأنبياء والمرسلين بربوبيته تعالى وشهادتهم عليها وإقرارهم بها. فآدم عليه السلام قال في دعائه: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ سور الأعراف ٣. ونوح قال في شكواه إليه تعالى : ﴿ رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ﴾ سورة نوح. وقال ﴿ رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ سورة الشعراء. وقال إبراهيم عليه السلام في دعائه لمكة حرم الله الشريف، ولنفسه وذريته: ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ سورة إبراهيم. رقال يوسف عليه وعلى نبينا أفضل السلام في ثنائه على الله ودعائه إياه :﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ سورة يوسف. وقال موسى في بعض طلبه: ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي ﴾ سورة طه. وقال هارون لبني إسرائيل : ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ سورة طه. وقال زكريا في استرحامه : ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ سورة مريم. وقال في دعائه: ﴿ رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين ﴾ سورة الأنبياء. وقال عيسى في إجابته له تعالى : ﴿ ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ﴾ سورة المائدة. وقال مخاطبا قومه : ﴿ يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة

ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ سورة المائدة.

ونبينا محمد ﷺ وعلى إخوانه المرسلين، كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا اله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»(1).

فجميع هؤلاء الأنبياء والمرسلين وغيرهم من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام كانوا يعترفون بربوبية الله تعالى ويدعونه بها وهم أتم الناس معارف وأكملهم عقولا وأصدقهم حديثا وأعرفهم بالله تعالى وبصفاته من سائر خلقه فى هذه الأرض.

٣- إيمان البلايين من العلماء والحكماء بربوبيته تعالي لهم، ولكل شيء، واعترافهم بها واعتقادهم إياها اعتقادا جازما.

٤- إيمان البلايين والعدد الذى لايحصى من عقلاء البشر وصالحيهم بربوبيته تعالي لجميع الخلائق.

الأدلة العقلية :

من الأدلة العقلية المنطقية السليمة على ربوبيته عز وجل لكل شيء مايلى :

١- تفرده تعالي بالخلق لكل شيء، إذ من المسلم به لدى كل البشر أن الخلق والإبداع لم يدعهما أو يقو عليهما أحد سوى الله عز وجل ، ومهما كان الشيء المخلوق صغيرا وضئيلا حتى ولو كان شعرة في جسم إنسان أو حيوان أو ريشة صغيرة فى جناح طائر، أو ورقة فى غصن مائد، فضلا عن خلق جسم نام أو حى من الأجسام، أو جرم كبير، أو صغير من الأجرام.

أما الله تبارك وتعالى فقد قال مقررا الخالقية المطلقة له دون سواه: ﴿ألا

(١) رواه مسلم في باب دعاء الكرب.

له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين﴾ . وقال : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ . وأثنى على نفسه بخالقيته فقال : ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ وقال: ﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾، أفليست إذا خالقيته سبحانه وتعالى لكل شيء هى دليل وجوده وربوبيته؟ بلى وإنا ياربنا على ذلك من الشاهدين.

٢- تفرده تعالى بالرزق، إذ ما من حيوان سارح فى الغبراء[١] أو سابح فى الماء، أو مستكن[٢] فى الأحشاء، إلا والله تعالى خالق رزقه وهاديه إلى معرفة الحصول عليه وكيفية تناوله والانتفاع به.

فمن النملة كأصغر حيوان ، إلى الإنسان الذى هو أكمل وأرقى أنواعه، الكل مفتقر إلى الله عز وجل فى وجوده وتكوينه، وفى غذائه ورزقه، والله وحده موجده ومكونه ومغذيه ورازقه وهاهى ذى آيات كتابه تقرر هذه الحقيقة وتثبتها ناصعة كما هى . قال تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا[٣] وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا[٤] وفاكهة وأبا﴾[٥]. سورة عبس.

وقال تعالى سورة طه ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا[٦] من

---

(١) الغبراء الأرض.

(٢) مستكن- مستتر.

(٣) القطب : العلف الرطب للدواب .

(٤) غلباً : متكاثفة الأشجار .

(٥) الأب: الكلأ والعشب.

(٦) أصنافا .

نبات شتى[1] كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ . وقال لا إله إلا هو ولا رب سواه فى سورة الحجر: ﴿ وأنزلنا من السماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ . وقال سبحانه فى سورة هود : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ .

وإذا تقرربلا منازع أنه لا رازق إلا الله كان ذلك دليلا علي ربوبيته سبحانه وتعالىلخلقه.

٣- شهادة الفطرة البشرية السليمة بربوبيته تعالى ، وإقرارها الصارخ بذلك، فإن كل إنسان لم تفسد فطرته يشعر فى قرارة نفسه بأنه ضعيف وعاجز أمام ذى سلطان غنى قوى، وأنه خاضع لتصرفاته فيه، وتدبيره له بحيث يصرخ فى غير تردد: أنه الله ربى ورب كل شيء.

وإن كانت هذه الحقيقة مسلمة لاينكرها، أو يمارى فيها كل ذى فطرة سليمة فإنه يذكر هنا زيادة في التقرير ماكان القرآن الكريم ينتزعه من اعترافات أكابر الوثنيين بهذه الحقيقة التى هى ربوبية الله تعالى للخلق ولكل شيء. قال الله تعالى :﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ سورة الزخرف. وقال جل جلاله :﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾سورة العنكبوت . وقال عز وجل : ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ﴾ سورة المؤمنون.

٤- تفرده تعالى بالملك لكل شيء، وتصرفه المطلق فى كل شيء، وتدبيره لكل شيء دال على ربوبيته، إذ من المسلم به لدى كافة البشر أن الإنسان كغيره من الكائنات الحية فى هذا الوجود لايملك على الحقيقة شيئا، بدليل أنه يخرج أول مايخرج إلى هذا الوجود عارى الجسم حاسر الرأس، حافى القدمين،

(١) متفق عليه .

ويخرج عندما يخرج منه مفارقا له ليس معه شيء سوى كفن يوارى به جسده. فكيف إذا يصح أن يقال: إن الإنسان مالك لشيء على الحقيقة فى هذا الوجود؟.

وإذا بطل أن يكون الإنسان، وهو أشرف هذه الكائنات مالكا لشئ منها فمن المالك إذا؟ المالك هو الله والله وحده، وبدون جدل، ولاشك ولاريب. وما قيل وسلم فى الملكية ويسلم كذلك فى التصرف والتدبير لكل شأن من شؤون الحياة، ولعمر الله إذا لهى صفات الربوبية؛ الخلق ، الرزق، الملك ، التصرف، التدبير، وقديما قد سلمها أكابر الوثنيين من عبدة الأصنام، سجل ذلك القرآن الكريم في غير سورة من سوره. قال تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى ؛ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون؟ فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ سورة يونس ٣١-٣٢.

الإيمان بإلهية الله تعالى للأولين والآخرين

يؤمن المسلم بألوهية الله تعالى لجميع الأولين والآخرين، وأنه لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه، وذلك للأدلة النقلية والعقلية التالية ولهداية الله تعالى له قبل كل شيء، إذ من يهد الله فهو المهتدى، ومن يضلل فلا هادى له.

الأدلة النقلية :

١- شهادته تعالى ، وشهادة ملائكته ، وأولى العلم على ألوهيته سبحانه وتعالى ، فقد جاء فى سورة آل عمران قوله :﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ سورة آل عمران.

٢- إخباره تعالى بذلك فى غير آية من كتابه العزيز، قال تعالى : ﴿الله لا

إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ سورة البقرة. وقال :﴿ وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ سورة البقرة. وقال لنبيه موسى عليه السلام : ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدنى﴾ سورة طه. وقال لنبينا محمد ﷺ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ سورة محمد. وقال مخبرا عن نفسه : ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس﴾ سورة الحشر.

٣- إخبار رسله عليهم الصلاة والسلام بألوهيته تعالى ودعوة أممهم إلي الاعتراف بها، وإلي عبادته تعالى وحده دون سواه، فإن نوحا قال : ﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ سورة الأعراف. وكنوح ؛ هو وصالح وشعيب مامنهم أحد إلا قال : ﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾. وقال موسى لبنى إسرائيل : ﴿أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين﴾ سورة الأعراف. قال لبنى إسرائيل لما طلبوا منه أن يجعل إلها صنما يعبدونه. وقال يونس في تسبيحه ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ سورة الأنبياء، وكان نبينا ﷺ يقول فى تشهده فى الصلاة: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له».

الأدلة العقلية:

١- إن ربوبيته تعالى الثابتة دون جدل لألوهيته وموجبة لها. فالرب يحى ويميت ويعطى ويمنع، وينفع ويضر هو المستحق لعبادة الخلق، والمستوجب لتأليههم له بالطاعة والمحبة، والتعظيم والتقديس، وبالرغبة إليه، والرهبة منه.

٢- إذا كان كل شيء من المخلوقات مربوبا لله بمعنى أنه من جملة من خلقهم ورزقهم، ودبر شؤونهم، وتصرف فى أحوالهم وأمورهم، فكيف يعقل تأليه غيره من مخلوقاته المفتقرة إليه؟، وإذ بطل أن يكون فى المخلوقات إله تعين أن

يكون خالقها هو الإله الحق والمعبود بصدق.

٣- اتصافه عز وجل دون غيره بصفات الكمال المطلق. ككونه تعالي قويا قديرا، عليا كبيرا، سميعا بصيرا، رؤوفا رحيما، لطيفا خبيرا، موجب له تأليه قلوب عباده له بمحبته وتعظيمه وتأليه جوارحهم له بالطاعة والانقياد.

الإيمان بأسمائه تعالى و صفاته

يؤمن المسلم بما لله تعالى من أسماء حسنى، وصفات عليا، ولايشرك غيره تعالي فيها، ولا يتأولها فيعطلها، ولا يشبهها بصفات المحدثين فيكيفها أو يمثلها، وذلك محال، فهو إنما يثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء والصفات وينفى عنه تعالي مانفاه عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله من كل عيب ونقص، إجمالا وتفصيلا، وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١- إخباره تعالى بنفسه عن أسمائه وصفاته، إذ قال تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون(١) فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾ سورة الأعراف وقال سبحانه : ﴿قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ سورة الإسراء. كما وصف نفسه بأنه سميع بصير وعليم حكيم، وقوى عزيز، ولطيف خبير، وشكور حليم ، وغفور رحيم، وأنه كلم موسى تكليما، وأنه استوى على عرشه، وأنه خلق بيديه، وأنه يحب المحسنين، ورضى عن المؤمنين، إلي غير ذلك من الصفات الذاتية كمجيئه تعالي وإتيانه، مما أنزله فى كتابه، ونطق به رسوله ﷺ.

---

(٤) يميلون بها عن الحق وينحرفون.

٢- إخبار رسوله ﷺ بذلك فيما ورد وصح عنه من أخبار صحيحة وأحاديث صريحة كقوله ﷺ «بضحك الله إلى رجلين بقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة»[١] وقوله : «لاتزال جهنم يلقى فيها، وهى تقول : هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله- وفي رواية :قدمه- فينزوى بعضها إلى بعض،ي فتقول قط قط»[٢] . وقوله ﷺ «ينزل ربنا إلي السماء الفنيا كل ليلة حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول :«من يدعونى فأستجيب به؟. من يسألنى فأعطيه؟. من يستغرفني فأغفر له»[٣] . وقوله : « لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته» الحديث[٤]، وقوله للجارية : «أين الله ؟. فقالت : فى السماء . قال: من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة» وقوله : ويقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوكالأرض؟»[٥].

٣- إقرار السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين بصفات الله تعالى ، وغدم تأويلهم لها، أو ردها أو إخراجها عن ظاهرها فلم يثبت أن صحابيا واحدا تأول صفة من صفات الله تعالى ، أو ردها، أو قال فيها إن ظاهرها غير مراد، بل كانوا يؤمنون بمدلولها ويحملونها على ظاهرها وهم يعلمون أن صفات الله تعالي ليست كصفات المحدثين من خلقه، وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله عز وجل :﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ سورة طه. فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة.

وكان الإمام الشافعى، رحمه الله تعالي يقول : آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد

(١ ، ٢ ، ٣) متفق عليه.

(٤ ، ٥) رواه مسلم.

رسول الله وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول في مثل قول الرسول ﷺ إن الله ينزل إلي السماء الدنيا، وإن الله يُرى يوم القيامة، وأنه تعالى يعجب ، ويضحك، ويغضب، ويرضى ويكره ويحب، كان يقول : نؤمن بها، ونصدق بها، لابكيف ولا معنى، يعنى، أننا نؤمن بأن الله تعالى ينزل ويرى، وهو فوق عرشه بائن من خلقه، ولكن لا نعلم كيفية النزول، ولا الرؤية، ولا الاستواء، ولا المعنى الحقيقى لذلك. بل نفوض الأمر فى علم ذلك إلى الله قائله وموحيه إلي نبيه ﷺ ولانرد على رسول الله، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، بلاحد ولا غاية، ونحن نعلم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الأدلة العقلية :

١- لقد وصف الله تعالي نفسه بصفات، وسمى نفسه بأسماء ولم ينهنا عن وصفه وتسميته بها. ولم يأمرنا بتأويلها(١) أو حملها على غير ظاهرها، فهل يعقل أن يقال إننا إذا وصفناه بها نكون قد شبهناه بخلقه فيلزمنا إذا تأويلها، وحملها على غير ظاهرها؟ وإن أصبحنا معطلين نفاة لصفاته تعالي ، ملحدين فى أسمائه. وهو يتوعد الملحدين فيها بقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾ .

٢- أليس من نفى صفه من صفات الله تعالى خوفا من التشبيه كان قد شببها أولا بصفات المحدثين، ثم خاف من التشبيه ففر منه إلي النفي والتعطيل ، فنفي صفات الله التى أثبتها لنفسه فكان بذلك قد جمع بين كبيرتين ، التشبيه والتعطيل؟.

أفلا يكون من المعقول إذا، والحالة هذه، أن يوصف البارى تعالى بما

---

(١) أصل أن الكلام لا يصرف إلى التأويل أو المجاز إلا بقرينة صارفة.

وصف به نفسه ووصفه به رسوله مع اعتقاد أن صفاته لاتشبه صفات المحدثين، كما أن ذاته عز وجل لاتشبه المخلوقين؟.

٣- إن الإيمان بصفات الله تعالي ووصفه بها لايستلزم التشبيه بصفات المحدثين إذ العقل لايحيل أن تكون لله صفات خاصة بذاته لاتشبه صفات المخلوقين، ولا تلتقى معها إلا فى مجرد الاسم فقط، فيكون للخالق صفات تخصه، وللمخلوق صفات تخصه.

والمسلم إذ يؤمن بصفات الله تعالى ، ويصفه بها لا يعتقد أبدا، ولا حتى يخطر بباله أن يد الله تبارك وتعالي مثلا تشبه يد المخلوق في أى معنى من المعانى غير مجرد التسمية، وذلك لمباينة الخالق للمخلوق في ذاته وصفاته وأفعاله، قال تعالى : سورة الصمد ﴿قل هو الله أحمد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا(١) أحد﴾. وقال : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ سورة الشورى.

---

(١) الكفؤ : المثيل والنظير.

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

يؤمن المسلم بملائكة الله تعالى ، وأنهم خلق من أشرف خلقه، وعباد مكرمون من عباده، خلقهم من نور، كما خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج[(١)] من نار. وأنه تعالي وكلهم بوظائف فهم بها قائمون، فمنهم الحفظة على العباد، والكاتبون لأعمالهم، ومنهم الموكلون بالجنة ونعيمها، ومنهم الموكولون بالنار وعذابها ومنهم المسبحون الليل والنهار لايفترون.

وأنه تعالى فاضل[(٢)] بينهم فمنهم الملائكة المقربون، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومنهم دون ذلك.

وذلك لهداية الله تعالى له أولا، ثم للأدلة النقلية والعقلية الآتية :

الأدلة النقلية :

١- أمره تعالى بالإيمان بهم، وإخباره عنهم في قوله :﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالا بعيدا﴾سورة النساء . وفى قوله جل جلاله: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل، فإن الله عدو للكافرين﴾ سورة البقرة. وفى قوله : لا إله إلا هو سورة النساء ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾[(٣)] . وفى قوله جلت قدرته: ﴿ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية﴾ سورة الحاقة. وفى قوله عظمت حكمته : ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ سورة المدثر. وفى قوله تقدست أسماؤه: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾ سورة

---

(١) المارج : لهب صاف لا دخان فيه.

(٢) فضل بعضهم علي بعض.

(٣) حملة عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.

الرعد. وفى قوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالاتعلمون﴾سورة البقرة .

٢- إخبار رسوله ﷺ عنهم بقوله فى دعائه عندما يقوم لصلاة الليل: « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك. إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)] . وفى قوله ﷺ «أطت السماءوحق لها أن تئط. ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد[(٢)]. وفى قوله :«إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون، الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر»[(٣)] . وفى قوله «يتمثل لي الملك أحيانا رجلا فيكلمنى فأعى مايقول»[(٤)] . وفي قوله : يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[(٥)] . وفى قوله «خلق الملائكة من نور. وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»[(٦)] .

٣- رؤية العدد الكثير من الصحابة رضى الله عنهم يوم «بدر» ورؤيتهم الجماعية غير مرة لجبريل أمين الوحى عليه السلام. إذ كان يأتى أحيانا فى صورة دحية الكلبى فيشاهدونه، ومن أشهر ذلك حديث عمر بن الخطاب رضى

---

(١)مسلم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم وهو معلول.

(٣) أصله فى الصحيحين.

(٤) رواه مالك وهو صحيح.

(٥) البخارى .

(٦) البخارى.

الله عنه في مسلم وفيه قول الرسول ﷺ أتدرون من السائل ؟. قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم.

٤- إيمان آلاف الملايين من المؤمنين أتباع الرسل فى كل زمان ومكان بالملائكة وتصديقهم بما أخبرت عنهم الرسل من غير شك ولا تردد.

الأدلة العقلية :

١- إن العقل لايحيل وجود الملائكة ولا ينفيه ، لأن العقل لايحيل ولا ينفى إلا ماكان مستلزما لاجتماع الضدين ككون الشيء موجودا ومعدوما فى آن واحد، أو النقيضين كوجود الظلمة والنور معا مثلا، والإيمان بوجود الملائكة لايستلزم شيئا من ذلك أبدا.

٢- إذا كان من المسَلم لدى كافة العقلاء أن أثر الشيء يدل على وجوده فإن للملائكة آثارا كثيرة تقضى بوجودهم وتؤكده، ومن ذلك:

أولا- وصول الوحى إلي الأنبياء والمرسلين. إذ كان غالبا مايصلهم بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام والملك الموكل بالوحى. وهذا أثر ظاهر لاينكر، وهو مثبت ومؤكد لوجود الملائكة.

ثانيا- وفاة الخلائق بقبض أرواحهم. فإنه أثر ظاهر كذلك دال على وجود ملك الموت وأعوانه قال تعالى ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم** ﴾ سورة السجدة.

ثالثا- حفظ الإنسان من أذى الجان والشيطان وشرورهما طوال حياته، وهو يعيش بينهما ويريانه ولا يراهما، ويقدران على أذيته ولا يقدر على أذاهما، أو حتى دفع شرهما دليل على وجود حفظة للإنسان يحفظونه ويدفعون عنه، قال تعالى ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ سورة الرعد.

٣- عدم رؤية الشيء لضعف البصر أو لفقد الاستعداد الكامل لرؤية الشيء لا ينفى وجوده، إذ هناك أشياء كثيرة من الماديات فى عالم الشهادة كانت تقصر عنها الرؤية بالعين المجردة وأصبحت الآن ترى بوضوح وذلك بواسطة المكبرات للنظر.

الإيمان بكتب الله تعالى

يؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعالي من كتاب، وما آتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه؛ وأن أعظم هذه الكتب؛ الكتب الأربعة: «القرآن الكريم » المنزل على نبينا محمد ﷺ ؛ «والتوراة» المنزلة على نبى الله موسى عليه السلام؛ و«الزبور» المنزل على نبى الله داود عليه السلام؛ و«الإنجيل» المنزل على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام. وأن «القرآن الكريم» أعظم هذه الكتب والمهيمن عليها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها وذلك للأدلة النقلية السمعية؛ والأدلة العقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١- أمر الله تعالى بالإيمان بها فى قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ؛ والكتاب الذى نزل على رسوله ؛ والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ سورة النساء.

٢- إخباره تعالي عنها في قوله :﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم ؛ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ؛ وأنزلَ التوراةَ وَالإنجيلَ من قبل هدى للناس ؛ وأنزلَ الفرقانَ سورة آل عمران. وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ سورة المائدة. وفي قوله جلت قدرته : ﴿وآتينا داود زبورا﴾ سورة النساء . ﴿وإنه لتنزيل رب

العالمين؛ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ؛ بلسان عربى مبين وإنه لفي زبر الأولين﴾ سورة الشعراء. وفي قوله : ﴿إن هذا لفي الصحف الأولي صحف إبراهيم وموسى﴾ سورة الأعلى.

٣- إخبار الرسول ﷺ بذلك فى أحاديث كثيرة؛ منها قوله ﷺ : «إنما بقاؤكم فيمن سلف؛ كما بين صلاة العصر إلي غروب الشمس؛ أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار؛ ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا؛ ثم أوتى أهل «الإنجيل» الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر؛ ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا؛ ثم أوتيتم«القرآن» فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين؛ فقال أهل الكتاب : أقل منا عملا وأكثر أجرا؟. قال الله : هل ظلمتكم من حقكم من شيء؟ قالوا : لا ؛ قال : هو فضلى أوتيه من أشاء(١) .

وفى قوله ﷺ «خففت على داود عليه السلام القرآن (القراءة) فكان يأمر بدوابه فتسرح فيقرأ«القرآن» «التوراة أو الزبور» قبل أن تسرج داوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه»(٢)، وفى قوله عليه السلام : لاحسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار»(٣) . وفى قوله :«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(٤). وقوله عليه السلام : «لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وما أنزل إليكم؛ وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»(٥) .

---

(١) البخارى

(٢) البخارى.

(٣) البخارى

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك وهو صحيح، رواه مالك بلاغا.

(٥) البخارى.

٤- إيمان الملايين من العلماء والحكماء وأهل الإيمان فى كل زمان ومكان، واعتقادهم الجازم بأن الله تعالى قد أنزل كتبا أوحاها إلى رسله؛ وخيرة الناس من خلقه وضمنها ما أراد من صفاته وأخبار غيبه؛ وبيان شرائعه ودينه ووعده ووعيده.

الأدلة العقلية:

١- ضعف الإنسان واحتياجه إلي ربه فى إصلاح جسمه وروحه يقتضى إنزال كتب تتضمن التشريعات والقوانين الملحقة للإنسان كمالاته؛ وما تتطلبه حياته الأولى والأخرى.

٢- لما كان الرسل هم الواسطة بين الله تعالى الخالق وبين عباده المخلوقين؛ وكان الرسل كغيرهم من البشر يعيشون زمنا ثم يموتون؛ فلو لم تكن رسالاتهم قد تضمنتها كتب خاصة لكانت تضيع بموتهم؛ ويبقى الناس بعدهم بلا رسالة ولا واسطة؛ فيضيع الغرض الأصلى من الوحى والرسالة؛ فكانت هذه حال تقتضى إنزال الكتب الإلهية بلا شك ولاريب.

٣- إذا لم يكن الرسول الداعى إلى الله تعالى يحمل كتابا من عند ربه فيه التشريع والهداية والخير سهل على الناس تكذيبه وإنكار رسالته؛ فكانت هذه حالا تقضي بإنزال الكتب الإلهية ؛ لإقامة الحجة على الناس.

الإيمان بالقرآن الكريم

يؤمن المسلم بأن القرآن الكريم ؛ كتاب الله أنزله على خير خلقه؛ وأفضل أنبيائه ورسله نبينا محمد ﷺ ؛ كما أنزل غيره من الكتب على من سبق من الرسل. وأنه نسخ بأحكامه سائر الأحكام فى الكتب السماوية، كما ختم برسالة صاحبه كل رسالة سالفة.

وأنه الكتاب الشامل لأعظم تشريع ربانى ؛ تكفل منزله لمن أخذ به أن يسعد فى الحياتين؛ وتوعد من أعرض عنه فلم يأخذ به بالشقاوة فى الدارين(١) ؛ وأنه الكتاب الوحيد الذى ضمن الله سلامته من النقص والزيادة؛ ومن التبديل والتغيير وبقاءه حتى يرفعه إليه عند آخر أجل هذه الحياة. وذلك للأدلة النقلية والعقلية التالية:

الأدلة النقلية:

١- إخباره تعالى بذلك في قوله :﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ سورة الفرقان. وفى قوله :﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ؛ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ سورة يوسف. . وفي قوله عز وجل : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ سورة النساء. وفى قوله : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ؛ ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويهديهم إلي صراط مستقيم ﴾ سورة المائدة. وفى قوله : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ؛ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ سورة طه . وفي قوله عز وجل : ﴿ كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ سورة فصلت . وفي قوله سبحانه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ سورة فصلت.

٢- إخبار رسوله المنزل عليه ﷺ فى قوله : «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله

(١) أخذا من قوله تعالى :«فمن اتبع هداى فلا يضل» الآية.

معه» سورة الحجر. وفي قوله :«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١] . «لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار: ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» [٢]. وقوله :«ما من الأنبياء نبى إلا وقد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة[٣] . وفي قوله : «لو كان موسي أو عيسى حيا لم يسعه إلا اتباعى»[٤].

٣-إيمان البلايين[٥] من المسلمين بأن القرآن كتاب الله ووحيه أوحاه إلي رسوله؛ واعتقادهم الجازم بذلك مع تلاوتهم وحفظ أكثرهم له وعملهم بما فيه من شرائع وأحكام.

الأدلة العقلية:

١- اشتمال القرآن الكريم على العلوم المختلفة الآتية؛ مع أن صاحبه المنزل عليه أمي لم يقرأ ولم يكتب قط؛ ولم يسبق له أن دخل كتابا ولا مدرسة البتة:

أ- العلوم الكونية.

ب- العلوم التاريخية.

ج- العلوم التشريعية والقانونية.

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وهو حسن.

(٢) البخارى.

(٣) مسلم.

(٤) رواه أبو يعلي بلفظ آخر.

(٥) جمع بليون وهو ألف ألف ألف.

د- العلوم الحربية والسياسية.

فاشتماله علي هذه العلوم المختلفة دليل قوى على أنه كلام الله تعالي ووحى منه؛ إذ العقل يحيل صدور هذه العلوم عن أمي لم يقرأ ولم يكتب قط.

٢- تحدى الله منزله الإنس والجن على الإتيان بمثله بقوله:﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ سورة الإسراء. كما تحدى فصحاء العرب وبلغاءهم على الإتيان بعشر سور من مثله؛ بل بسورة واحدة فعجزوا ولم يستطيعوا .

فكان هذا أكبر دليل وأقوى برهان على أنه كلام الله وليس كلام البشر فى شيء.

٣- اشتماله على أخبار الغيب العديدة ؛ والتى ظهر(١) بعضها طبق ما أخبر بلا زيادة ولانقص.

٤- مادام قد أنزل الله عز وجل كتبا أخرى على غير محمد ﷺ كالتوراة على موسى ؛ والإنجيل على عيسى عليهما السلام؛ لم ينكر أن القرآن قد أنزله الله تعالى ؛ كما أنزل الكتب السابقة له ؟. وهل العقل يحيل نزول القرآن أو يمنعه ؟. لا .. بل العقل يحتم نزوله ويوجبه.

٥- قد تتبعت تنبؤاته فكانت وفق ماتنبأ به تماما؛ كما قد تتبعت أخباره فكانت طبق ماقصه وأخبر به سواء بسواء؛ كما جربت أحكامه وشرائعه

---

(١) من ذلك: إخباره بأن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين، وكانت يومئذ مغلوبة للفرس مهزومة أمامها ولم تمض بضع سنين حتى غلبت الروم فارس. قال تعالى :{ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين}.

وقوانينه فحققت كل ما أريد منها من أمن وعزة وكرامة(١) وعلم وعرفان؛ يشهد بذلك تاريخ دولة الراشدين رضوان الله عليهم.

وأى دليل يطلب بعد هذا على كون القرآن كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله؟.

الإيمان بالرسل عليهم السلام

يؤمن المسلم بأن الله تعالي قد اصطفى من الناس رسلا وأوحى إليهم بشرعه وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة وأرسلهم بالبينات وأيدهم بالمعجزات؛ ابتدأهم بنبيه نوح وختمهم بمحمد ﷺ.

وأنهم وإن كانوا بشرا يجرى عليهم الكثير من الأعراض البشرية فيأكلون ويشربون؛ على الإطلاق؛ وأفضلهم بلا استثناء؛ وأنه لايتم إيمان عبد إلا بالإيمان بهم جميعا، جملة وتفصيلا؛ وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١- إخباره تعالي عن رسله: وعن بعثتهم ورسالاتهم فى قوله : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾سورة النمل. وفى قوله : ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ؛ إن الله سميع بصير** ﴾سورة الحج. وفي قوله :﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده وأوحينا إلى**

(١) مصداق ذلك ماحدث في المملكة العربية السعودية فقد اختل الأمن فى أرض الحجاز وعمت الفوضى وكثر السلب والنهب حتى أصبح الحاج لايأمن علي ماله ولا على نفسه. وما إن أعلن عن دولة القرآن حتى عم البلاد أمن شامل لم تر مثله منذ أن كانت دولة الراشدين رضى الله عنهم.

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ؛ وآتينا داود زبورا ؛ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾سورة النساء. وفي قوله : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾سورة الحديد. وفى قوله : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾سورة الأنبياء. وفى قوله :﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾سورة الفرقان. وفي قوله :﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم ﴾سورة الإسراء. وفي قوله :﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾سورة الأحزاب.

٢- إخبار الرسول ﷺ عن نفسه وعن إخوانه من الأنبياء والمرسلين في قوله :«ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب» - المسيح الدجال(١) . وفى قوله : «لاتفاضلوا بين الأنبياء». وفي قوله لما سأله أبو ذر عن عدد الأنبياء والمرسلين منهم فقال :«مائة وعشرون ألفا والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر». وفى قوله :«والذي نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ماوسعه إلا أن يتبعنى». وفى قوله :«ماكان لعبد أن يقول إنى خير من يونس بن متى»، وفى إخباره ﷺ عنهم ليلة الإسراء إذ جمعوا له هناك ببيت المقدس وصلى بهم إماما لهم، كما أنه وجد فى السموات يحيى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم وأخبر عنهم وعما شاهده من حالهم». وفى قوله:«وإن نبى الله داو كان يأكل من عمل يده».

(١) رواه البخارى ومسلم.

٣- إيمان البلايين من البشر من المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب من يهود ونصارى برسل الله وتصديقهم الجازم برسالاتهم واعتقادهم كمالهم، واصطفاء الله لهم.

الأدلة العقلية:

١- ربوبيته ورحمته تعالي ، تقتضيان إرسال رسل منه إلي خلقه ليعرفوهم بربهم، ويرشدوهم إلى مافيه كمالهم الإنسانى، وسعادتهم في الحياتين الأولى والثانية.

٢- كونه تعالى خلق الخلق لعبادته، إذ قال عز وجل : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ سورة الذاريات . فهذا يقتضى اصطفاء الرسل وإرسالهم ليعلموا العباد كيف يعبدونه تعالى ويطيعونه، إذ تلك هى المهمة التى خلقهم من أجلها.

٣- إن كون الثواب والعقاب مرتبين على آثار الطاعة والمعصية فى النفس بالتطهير والتدسية أمر يقتضى إرسال الرسل، وبعثة الأنبياء، لئلا يقول الناس يوم القيامة: إننا ياربنا لم نعرف وجه طاعتك حتى نطيعك ، ولم نعرف وجه معصيتك حتى نتجنبها ولا ظلم اليوم عندك، فلا تعذبنا، فتكون لهم الحجة على الله تعالى. فكانت هذه حالات اقتضت بعثة الرسل لقطع الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما** ﴾.سورة النساء.

الإيمان برسالة محمد ﷺ

يؤمن المسلم بأن النبى الأمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشي العربى المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام هو عبد الله ورسوله أرسله إلى كافة الناس أحمرهم وأبيضهم، وختم بنبوته النبوات، وبرسالته الرسالات، فلا نبى بعده ولا رسول، أيده بالمعجزات، وفضله على سائر الأنبياء، كما فضل أمته على سائر الأمم، فرض محبته وأوجب طاعته، وألزم متابعته، وخصه بخصائص لم تكن لأحد سواه منها :الوسيلة، والكوثر، والحوض، والمقام المحمود، وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١- شهادته تعالي وشهادة ملائكته له عليه السلام بالوحى فى قوله تعالى:﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا ﴾ سورة النساء.

٢- إخباره تعالى عن عموم رسالته، وختم نبوته، ووجوب طاعته ومحبته، وكونه خاتم النبيين فى قوله جلت قدرته: ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ﴾ سورة النساء. وفى قوله :﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فتره من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ المائدة. وفى قوله: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ سورة الأنبياء. وفي قوله :﴿ هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ سورة الجمعة. وفي قوله تبارك وتعالي :﴿ محمد رسول الله ﴾ سورة الفتح. وفي قوله:﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيريا ﴾ سورة الفرقان.

وفي قوله :﴿ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ سورة الأحزاب. وفى قوله :﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ سورة القمر. وفى قوله ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾سورة الكوثر. وفى قوله:﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ سورة الضحى.وقوله :﴿ عسي أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾سورة الإسراء. وقوله سبحانه :﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾سورة النساء. وقوله:﴿ قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾سورة التوبة. وفي قوله:﴿ كنتم خير أمة أخرخرجت للناس ﴾ سورة آل عمران. وقوله:﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾سورة البقرة. وقوله لا إله إلاهو:﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ سورة آل عمران.

٣- إخباره ﷺ عن نبوته وختم النبوات بها وعن وجوب طاعته وعموم رسالته في قولهﷺ «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[١]. ورفى قوله «إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته»[٢]، وفى قوله« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة واحدة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[٣] .

---

(١) فى الصحيحين.

(٢) البخارى فى التاريخ ، وأحمد وابن حبان وصححه.

(٣) متفق عليه.

وفي قوله « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» [1] وقوله :«كلكم يدخل الجنة إلا من أبي قالوا ومن يأبى يا رسوله الله؟. قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[2] وفى قوله : «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبى»[3]، وفى قوله فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون»[4] . وقوله :«من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى»[5]. وقوله :«إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى»[6]. وقوله:«إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر»[7] وقوله عليه السلام: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع»[8].

- شهادة التوراة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته، وتبشير كل من موسى وعيسى به ﷺ ، قال تعالي فيما حكته عن عيسى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيلى إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ . وقال تعالى :﴿ الذين يتبعون الرسول النبى

(١، ٢) البخارى.

(٣) رواه أحمد والترمذى وصححه.

(٤) مسلم والترمذى.

(٥) البخارى.

(٦) رواه الدارقطنى وله طرق تجعله حسنا .

(٧) الترمذى وابن ماجه وأحمد .

(٨) مسلم

الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ . وجاء فى التوراة: سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوانهم، وأجعل كلامى في فيه، ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك».

فهذه البشارة الثابتة فى التوراة تشهد بنبوة نبينا ﷺ، ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته، وهى حجة على اليهود، وإن تأولوها وجحدوها فقوله تعالى :سوف أقيم لهم نبيا، يشهد بلا شك لنبوته ورسالتهﷺ إذ المخاطب هنا هو موسى عليه السلام وهو نبى ورسول، ومن كان مثله فهو نبى ورسول، وقوله : «من بين إخوتهم» صريحي فى أنه محمد ﷺ وقوله: وأجعل كلامى فى فيه، لاينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ لأنه هو الذى يقرأ كلام الله ويحفظه وهو القرآن الكريم، وقوله: يكلمهم بكل شيء شاهد كذلك، إذ النبى ﷺ تكلم بغيب لم يتكلم به نبى سواه، إذ أخبر ببعض ماكان وما يكون إلى يوم القيامة».

وجاء فى التوراة مانصه :

« يا أيها النبى إنا أرسلناك مبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما، وقلوبا غلفا».(١) وجاء فيها أيضا «هم أغارونى بغير الله وأغضبونى بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم».

فقوله : وبشعب جاهل، صريح فى أنه الشعب العربى ، إذ هو الشعب

---

(١) وأخرجه البخارى .

الجاهل قبل بعثته ﷺ حتى إن اليهود كانوا يسمون العرب بالأميين، كما جاء فيها كذلك قوله:« فلا يزول القضيب من يهوذا، والمدبر من فخذه حتى يجىء الذى له الكل وإياه تنتظر الأمم» فمن ذا الذى انتظرته الأمم سوى نبينا محمد ﷺ ولاسيما اليهود فقد كانوا أكثر الناس انتظارا له باعترافاتهم الصريحة، ولكن الحسد هو الذى حرمهم الإيمان به واتباعه ﷺ . قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذيني كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ ، كما جاء فى الإنجيل البشارات التالية :

ام جاء يوحنا المعمدان بكرز[١] فى برية اليهود قائلا:

«توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» ، فقوله قد اقترب ملكوت السموات إشارة إلى محمد ﷺ كما هو شارة بقرب بعثته إذ هو الذى ملك وحكم بقانون السماء.

٢- قدم لهم مثلا آخر قائلا:« يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حلقه، وهى أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول». فهذه العبارة في الإنجيل هى عين ماذكره تعالى في القرآن الكريم، إذ قال تعالى :﴿ ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ . المراد من ذلك محمد ﷺ وأصحابه.

٣- «أنطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم (البارقليط)[٢] فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك يوبخ العالم على خطيئته. أليست هذه الجملة من الإنجيل صريحة فى التبشير بمحمد ﷺ ، من هو (البارقليط) إن لم يكن

---

(١) وعظ ونادى مبشرا بنبوة نبى ، واللفظة (سريانية).

(٢) ترجمتها من اليونانية إلى العربية:بالذى له حمد كثير وهو يوافق معنى«محمد» أو أحمد.

محمدا؟ ومن هو الذى وبخ العالم على خطيئته سواه؟!. إذ هو الذى بعث والعالم يسبح فى بحور الفساد والشرور، والوثنية ضاربة أطنابها حتى في أهل الكتاب؟. ومن هو الذى جاء بعد رفع عيسى يدعو إلى الله رب السموات والأرض غير محمد ﷺ ؟.

الأدلة العقلية :

١- ما المانع من أن يرسل الله محمدا رسولا، وقد أرسل من قبله مئات المرسلين ونبأ آلاف الأنبياء؟.

وإذا كان لامانع من ذلك عقلا وشرعا فبأى وجه تنكر رسالته وتكفر نبوته ﷺ إلي عموم الناس ؟..

٢- الظروف التى اكتنفت بعثته عليه الصلاة والسلام كانت تتطلب رسالة سماوية ورسولا يجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها عز وجل.

٣- انتشار الإسلام بسرعة في أنحاء العالم، وأقطار شتى فى أنحاء المعمورة، وقبول الناس له وإيثاره على غيره من الأديان، دليل على صدق نبوته ﷺ .

٤- صحة المبادئ التى جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحيتها، وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله، وأن صاحبها رسول الله ونبيه.

٥- ماظهر على يديه ﷺ من المعجزات والخوارق التى يحيل العقل صدورها على يد غير نبى ورسول.

زات، كما هى ثابتة فى الحديث الصحيح الأشبه بالمتواتر الذى لايكذبه إلا ضعيف العقل أو فاقده :

١- انشقاق القمر[١] له ﷺ فقد طلب الوليد بن المغيرة وغيره من كفار قريش آية- معجزة- منه عليه السلام تدل على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة فانشق له القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام: اشهدوا ، قال بعضهم : رأيت القمر بين فرجتى الجبل- جبل أبى قبيس- وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى، هل شاهدوا انشقاق القمر؟ فأخبروا به كما رأوه، ونزل قول الله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ القمر.

٢- أصيبت عين قتادة يوم «أحد» حتى وقعت على وجنته فردها الرسول ﷺ فكانت أحسن منها قبل.

٣- رمدت عينا على بن أبى طالب عليه السلام يوم «خيبر» فنفث فيهما رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فبرئتا كأن لم يكن بهما شيء أبدا .

٤- انكسرت ساق ابن الحكم يوم «بدر» فنفث عليهما ﷺ فبرىء لوقته ولم يحصل له ألم قط.

٥- نطق الشجر له عليه السلام، فقد دنا منه أعرابى ، فقال له : يا أعرابى أين تريد؟، قال :إلى أهلى . قال : هل لك إلي خير؟ فقال: وماهو؟ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله. فقال الأعرابى : من يشهد لك على ماتقول؟. فقال له ﷺ : هذه الشجرة- يشير إلي شجرة بشاطىء الوادى - فأقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت كما قال عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أحاديث انشقاق القمر ثابتة في الصحيحين.

٦- حنين جذع النخلة[1] له ﷺ وبكاؤه بصوت سمعه من في مسجده قاطبة، وذلك لما فارقه ﷺ بعدما كان يخطب عليه كمنبر له ولما صنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنينا وشوقا إليه ﷺ ، فقد سمع له صوت كصوت العشار[2] ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام ووضع يده الشريفة عليه فسكت.

٧- دعاؤه ﷺ على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق.

٨- دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه فى الدين، فكان عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة.

٩- تكثير الطعام بدعائه ﷺ فقد أكل من مدي شعير فقط أكثر من ثمانين رجلا.

١٠- تكثر الماء بدعائه ﷺ ، فقد عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله عليه أزكى السلام بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه، وقالوا ليس عندنا إلا مافى ركوتك فوضع ﷺ يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشرب القوم وتوضأوا، وكانوا ألفا وخمسمائة نفر.

١١- الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى، وعاد إلى فراشه ولم يبرد.

١٢- القرآن الكريم ، الكتاب الذى فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم مابيننا وفيه الهدى والنور، فهو معجزته العظمى وآية نبوته الخالدة والباقية على مر الأيام وكر العصور ليظل به الدليل قائما على صدق نبوته عليه الصلاة

(١) رواية حنين الجذع ثابتة في الصحيحين.

(٢) العشار: النوق التى مضى على حملها عشرة أشهر.

والسلام، والحجة ثابتة على الخلق إلى أن يرث الله الأرض.

فالقرآن العظيم من أعظم ما أوتى نبيناﷺ ، ومن أكبر ما أوتى من البينات .وفيه يقول :«مامن الأنبياء نبى إلا وقد أعطى من الأيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (١) .

الإيمان باليوم الآخر

يؤمن المسلم بأن لهذه الحياة ساعة أخيرة تنتهى فيها، ويوما آخرا ليس بعده من يوم، ثم تأتى الحياة الثانية، فى الدار الآخرة فيبعث الله سبحانه بعثا، ويحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم فيجزى الأبرار بالنعيم المقيم فى الجنة، ويجزى الفجار بالعذاب المهين فى النار.

وأنه يسبق هذا أشراط الساعة وأماراتها كخروج المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك من الآيات، ثم ينفخ في الصور نفخة الفناء والصعق، ثم نفخة البعث والنشور، والقيام لرب العالمين، ثم تعطى الكتب، فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله ويوضع الميزان، ويجرى الحساب وينصب الصراط، وينتهى الموقف الأعظم باستقرار أهل الجنة فى الجنة. وأهل النار فى النار. وذلك للأدلة النقلية والعقليةالتالية:

الأدلة النقلية :

١- إخباره تعالي عن ذلك فى قوله :﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك**

---

(١) أغلب هذه المعجزات ثابتة فى الصحيحين ومالم يكن فى الصحيحين فهو فى كتب السنة الصحيحة.

ذو الجلال والإكرام﴾ الرحمن. وفي قوله: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون؟ كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم باشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ الأنبياء. وفي قوله ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ التغابن. وفى قوله :﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ المطففين.وفى قوله : ﴿وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق لى الجنة وفريق في السعير . وفى قوله ﴿إذا زلزلت الأرض زلزلالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها؟ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ الزلزلة. وفي قوله لا إله إلا هو ﴿هل ينظرون إل أن تأتيهم الملائكة، أو يأتى ربك ، أو يأتى بعض آيات ربك، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾ الأنعام. وفى قوله جل جلاله:﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون﴾ النمل. وفي قوله : ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب(١) ينسلون، واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ الأنبياء. وفي قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا، إذا قومك منه يصدون(٢) وقالوا: أألهتنا خير أم هو؟ ماضربوه لك إلا جدلا، بل هم قوم خصمون، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾ الزخرف. وقوله سبحانه :﴿ونفخ في الصور فصعق من فى

(١) الحدب: المرتفع من الأرض، وينسلون: يسرعون النزول منه.

(٢) يضجون فرحا وضحكا.

السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ الزمر. وفى قوله عز وجل :﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ الأنبياء. وفى قوله سبحانه : ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها، ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية، فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم[1] اقرأوا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتنى لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، ياليتها كانت القاضية، ما أغنى عنى ماليه، هلك عنى سلطانيه ، خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن الله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾ الحاقة. وفى قوله تعالى : ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا، وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[2] ﴾ مريم.

---

(١) خذوا.

(٢) باركين على ركبهم لشدة الهول.

١- إخباره ﷺ فى قوله « لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يالتنى كنت مكانه[١] » . وفى قوله : «إن الساعة لاتكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة [٢] عدن ترحل الناس، ونزول عيسى ابن مريم . وفى قوله : « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض من فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فماذا تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[٣] ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله[٤] . قال فيصعق ويصعق الناس، ثم ينزل مطر كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال : أيها الناس، هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون، ثم يقال: آخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق[٥] ».

---

(١) رواه أحمد والشيخان.

(٢) من أقصى عدن.

(٣)مسلم.

(٤) اللبت : صفحة العنق. أى أمال صفحة عنقه يسمع.

(٥)بطينهويصلحه.

وفي قوله ﷺ :« لاتقوم الساعة إلا على شرار الناس[1]». وفى قوله :«ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة[2]» وفى قوله وهو يخطب: أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلا، ألا وإن أول الخلق يكسى إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك»[3]. وفى قوله :« لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماعمل به، وعن ماله من أين اكستبه وفيما أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه»[4]. وفى قوله ﷺ «حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لايظمأ أبدا » [5].

وفى قوله لعائشة رضي الله عنها لما ذكرت النار بكت : مايبكيك؟. قالت : ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟. وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمنيه أم في شماله أم وراء ظهره؟. وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز[6]. وفي قوله :«لكل نبى دعوة قد دعاها لأمته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى».

وفي قوله :«أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تشقق عنه الأرض يوم القيامة ولافخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر، ولواء الحمد بيدى يوم

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) مسلم.

(٥) البخارى ومسلم وابن ماجة والحاكم والترمذى.

(٦) أخرجه أبو داود بإسناد حسن

القيامة ولافخر»[١]. وفى قوله : من سأل الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار[٢].

٣- إيمان الملايين من الأنبياء والمرسلين والحكماء والعلماء والصالحين من عباد الله باليوم الآخر وبكل ماورد فيه وتصديقهم الجازم به.

الأدلة العقلية :

١- صلاح قدرة الله لإعادة الخلائق بعد فنائهم، إذ إعادتهم ليست بأصعب من خلقهم وإيجادهم على غير مثال سابق.

٢- ليس هناك ما ينفيه العقل من شأن البعث والجزاء، إذ العقل لاينفي إلا ما كان من قبيل المستحيل كاجتماع الضدين، أو التقاء النقيضين، والبعث والجزاء ليسا من ذلك فى شيء.

٣- حكمته تعالي الظاهرة فى تصرفاته في مخلوقاته، والبارزة فى كل مظهر ومجال من مجالات الحياة ومظاهرها تحيل عدم وجود البعث للخلق بعد موتهم، وانتهاء أجل الحياة الأولى وجزائهم على أعمالهم من خير وشر.

٤- وجود الحياه الدنيا وما فيها من نعيم وشقاء، شاهد على وجود حياة أخرى فى عالم آخر يوجد فيها من العدل والخير والكمال، والسعادة والشقاء ماهو أعظم وأفضل بكثير، بحيث أن هذه الحياة وما فيها من سعادة وشقاء لاتمثل من تلك الحياة إلا ماتمثل صورة قصر من القصور الضخمة أو حديقة من الحدائق الغناء على قطعة ورق صغيرة.

---

(١) تقدم.

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم وصححه.

فى عذاب القبر ونعيمه

يؤمن المسلم بأن نعيم القبر وعذابه؛ وسؤال الملكين فيه حق وصدق وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

١- إخباره تعالى بذلك فى قوله: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ سورة الأنفال.

وقوله :﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون ﴾ سورة الأنعام.

وفى قوله:﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ سورة التوبة. وفي قوله : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ؛ ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ سورة غافر. وفى قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ؛ ويضل الله الظالمين ؛ ويفعل الله مايشاء ﴾ سورة إبراهيم.

٢- إخبار الرسول ﷺ بذلك فى قوله :«إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم؛ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ماكنت تقول فى هذا الرجل -لمحمد ﷺ؟- فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله؛ فيقال له :انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا.وأما المنافق أو الكافر فيقولان له :ماكنت تقول فى هذا الرجل؟

فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال له: لادريت ولاتليت(١) ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين(٢)». وفى قوله ﷺ : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلي يوم القيامة»(٣) . وفي قوله ﷺ فى دعائه: «اللهم إنى أعوذ بك من عاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»(٤) وفى قوله لما مر بقبرين فقال: « إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستتر من بوله»(٥) .

إيمان البلايين من العلماء والصالحين والمؤمنين من أمة محمد ﷺ ومن أمم أخرى سبقت بعذاب القبر ونعيمه وكل ما روى فى شأنه.

الأدلة العقلية :

١- إيمان العبد بالله وملائكته واليوم الآخر يستلزم إيمانه بعذاب القبر ونعيمه وبكل مايجرى فيه إذ الكل من الغيب فمن آمن بالبعض لزمه عقلا الإيمان بالبعض الآخر.

٢- ليس عذاب القبر أو نعيمه أو ما يقع فيه من سؤال الملكين مما ينفيه العقل أو يحيله بل العقل السليم يقره ويشهد له.

---

(١) تليت بمعنى تلوت أى اتبعت.

(٢) الإنس والجن.

(٣) البخارى .

(٤) البخارى .

(٥) البخارى.

٣- إن النائم قد يرى الرؤيا مما يسر له فيتلذذ بها وينعم بتأثيرها فى نفسه الأمر الذي يحزن له أو يأسف إن هو استيقظ كما أنه قد يرى الرؤيا مما يكره فيستاء لها ويغتم الأمر الذى يجعله يحمد من أيقظه لو أن شخصا أيقظه فهذا النعيم أو العذاب فى النوم يجرى على الروح حقيقة وتتأثر به وهو غير محسوس ولامشاهد لنا ولاينكره أحد فكيف ينكر إذا عذاب القبر أو نعيمه وهو نظيره تماما.

الإيمان بالقضاء والقدر

يؤمن المسلم بقضاء الله وقدره(١) وحكمته ومشيئته وأنه لايقع شىء فى الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله به وتقديره. وأنه تعالي عدل فى قضائه وقدره حكيم في تصرفه وتدبيره. وأن حكمته تابعة لمشيئته. ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به تعالى . وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية :

١- إخباره تعالى عن ذلك فى قوله : ﴿**إنا كل شىء خلقناه بقدر**﴾ القمر. وقوله عز وجل : ﴿**وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ الحجر. وفي قوله : ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها(٢) إن ذلك على الله يسير**﴾ الحديد. وقوله : ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**﴾ التغابن. وقوله : ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه**﴾ الإسراء . وقوله : ﴿**قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل**

(١) القضاء : حكم الله سبحانه أزلا بوجود الشىء أو عدمه. والقدر: إيجاد الله تعالى الشىء على كيفية خاصة فى وقت خاص وقد يطلق كل منهما على الآخر.

المؤمنون﴾ التوبة . وفى قوله عز وجل : ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين﴾ الأنعام. وقوله : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ التكوير. وقوله : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ الأنبياء. وفى قوله : ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله﴾ الكهف. وفي قوله : ﴿وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ الأعراف.

٢- إخبار رسوله ﷺ عن ذلك فى قوله : «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١) . وفى قوله عليه السلام لعبد الله بن عباس: «ياغلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام، وجفت الصحف»(٢) وفى قوله إن أول ماخلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب ، فقال : رب ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» (٣) وفى قوله

---

(١)رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وصححه. احفظ الله ، احفظ حدوده وراع حقوقه.

(٣) رواه أحمد والترمذى من حديث عباده وهو حديث حسن.

ﷺ «احتج آدم وموسى، قال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم أنت موسي اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين عاما فحج[١] آدم موسى[٢]. وفى قوله عليه السلام فى تعريف الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» [٣]. وفى قوله ﷺ :« اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[٤] وفى قوله ﷺ :«إن النذر لايرد قضاء»[٥]. وفى قوله ﷺ لعبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة هى من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»[٦]. وفى قوله ﷺ لمن قال : ماشاء الله وشئت ، قل :« ماشاء الله وحده»[٧].

٣- إيمان الملايين من أمة محمد ﷺ من علماء وحكماء وصالحين وغيرهم بقضاء الله تعالى وقدره، وحكمته ومشيئته. وأن كل شىء سبق به علمه، وجرى به قدره. وأنه لايكون فى ملكه إلا مايريد، وأن ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن القلم جرى بمقادير كل شىء إلي قيام الساعة.

الأدلة العقلية :

١- إن العقل لايحيل شيئا من شأن القضاء والقدر والمشيئة، والحكمة،

---

(١) حجه : غلبه في الحجة وبيان ذلك أن لوم موسى كان فى غير محله، لأنه إن لامه على الخروج من الجنة كان قد لامه على أمر لابد من وقوعه لما قضاه الله، وإن لامه على الذنب، فإن آدم تاب منه ومن تاب لايلام عقلا ولاشرعا .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم من حديث جبريل.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الجماعة كلهم وهو صحيح.

(٦) متفق عليه.

(٧) النسائى وصححه.

والإرادة والتدبير، بل العقل يوجب كل ذلك ويحتمه، لما له من مظاهر بارزة فى هذا الكون.

٢- الإيمان به تعالي وبقدرته يستلزم الإيمان بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته.

٣- إذا كان المهندس المعمارى يرسم على ورقة صغيرة رسما لقصر من القصور. ويحدد له زمن إنجازه، ثم يعمل على بنائه فلا تنتهى المدة التى حددها حتى يخرج القصر من الورقة إلى حيز الوجود، وطبق ما رسم على الورقة بحيث لاينقص شىء وإن قل، ولايزيد، فكيف ينكر على الله أن يكون قد كتب مقادير العالم إلي قيام الساعة، ثم لكمال قدرته وعلمه يخرج ذلك المقدر طبق ماقدره فى كميته وكيفيته، وزمانه ومكانه ومع العلم بأن الله تعالى على كل شىء قدير.

فى توحيد العبادة

يؤمن المسلم بألوهية الله تعالى للأولين والآخرين، وربوبيته لجميع العالمين، وأنه لا إله غيره، ولارب سواه ، فلذا هو يخص الله تعالى بكل العبادات التى شرعها لعباده، وتعبدهم بها، ولا يصرف منها شيئا لغير الله تعالى فإذا سأل، سأل الله، واذا استعان استعان بالله، وإذا نذر لاينذر لغير الله. فلله وحده جميع أعماله الباطنة من خوف ورجاء، وإنابة ومحبة. وتعظيم، وتوكل، والظاهر من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد. وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية :

١- أمره تعالى بذلك فى قوله : ﴿ لا إله إلا أنا فاعبدنى ﴾ طه . وفي قوله : ﴿ وإياى فارهبون ﴾ البقرة . وفى قوله : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم

والذين من قبلكم لعلكم تتقون ؛ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ؛ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ البقرة. وفى قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ محمد. وفى قوله عز وجل : ﴿ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ فصلت. وقوله : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .التغابن.

٢-إخباره تعالي عن ذلك بقوله: ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾النحل. وفى قوله: ﴿ ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ البقرة. وفي قوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلي نوحى إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ الأنبياء. وفى قوله تعالى : ﴿ قل أغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟ ﴾ الزمر. وفى قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ الفاتحة. وفى قوله جل جلاله: ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ النحل.

٣- إخبار رسوله ﷺ بذلك فى قوله لمعاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه إلي اليمن:« فليكن أول ماتدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى »(١). وفى قوله أيضا :«يامعاذ أتدرى ما حق الله علي العباد؟ قال :الله ورسوله أعلم، قال :أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا». وفي قوله لعبد الله بن عباس رضى الله عنه:«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله». وفى قوله ﷺ لمن قال له؛ ماشاء الله وشئت «قل ماشاء الله وحده»(٢). وفى قوله :« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر؛ قالوا :وما الشرك يارسول الله؟ قال : الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) النسائىوصححه.

إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلي الذين كنتم تراؤون فى الدنيا؛ فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء؟»[١] . وفى قوله :«أليسوا يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه؛ ويحرمون ما أحل الله فتحرمون؟. قالوا بلى ؛ قال فتلك عبادتهم». قاله ﷺ لعدى ابن حاتم لما قرأ قوله تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ ، فقال عدى «يارسول الله لسنا نعبدهم»[٢].

وفى قوله :«إنه لايستغاث بى، وإنما يستغاث بالله»[٣]. قال له لما قال بعض الصحابة قوموا نستغيب برسول الله من هذا المنافق (المنافق كان يؤذيهم)».

وفى قوله :« من حلف بغير الله فقد أشرك»[٤] . وفى قوله :«إن الرقي والتمائموالتولةشرك»[٥].

الأدلة العقلية :

١- تفرده تعالي بالخلق والرزق، والتصرف، والتدبير، يوجب عبادته وحده لا شريك له فى شىء منها.

٢- جميع المخلوقات مربوبة له تعالى مفتقرة إليه فلم يصلح شىء منها أن يكون إلها يعبد معه تعالى .

٣- كون من يدعى، أو يستغاث به، أو يستعاذ، لايملك أن يعطى أو يغيث، أو يعيذ من شىء يوجب بطلان دعائه. أو الاستغاثة به، أو النذر له، أو الاعتماد والتوكل عليه.

---

(١) رواه أحمد من طرق وهو حسن.

(٢) الترمذى وحسنه.

(٣) الطبرانى وهو حسن .

(٥) الترمذى وحسنه.

فى الوسيلة

يؤمن المسلم بأن الله تعالي يحب من الأعمال أصلحها، ومن الأفعال أطيبها ويحب من عباده الصالحين، وأنه تعالى انتدب عباده إلي التقرب إليه والتودد منه، والتوسل إليه، فهو لذلك يتقرب إلى الله تعالى، ويتوسل إليه بصالح الأعمال وطيب الأقوال فيسأله تعالى ويتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وبالإيمان به وبرسوله وبمحبته تعالى ، ومحبة رسوله، ومحبة الصالحين، وعامة المؤمنين ويتقرب إلي الله تعالي بفرائض الصلاة، والزكاة والصوم، والحج، وبنوافلها، كما يتقرب إليه بترك المحرمات، واجتناب المنهيات، ولا يسأل الله تعالى بجاه أحد من خلقه، ولا بعمل أحد من عباده، إذ ليس ذى الجاه من كسبه، ولا عمل صاحب العمل من عمله فيسأل الله به أو يقدمه وسيلة بين يديه.

والله تعالي لم يشرع لعباده أن يتقربوا إليه بغير أعمالهم وزكاة أرواحهم بالإيمان والعمل الصالح ، وذلك للأدلة النقلية والعقلية التالية:

الأدلة النقلية:

١- إخباره تعالى عن ذلك بقوله : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فاطر. وفي قوله : ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ المؤمنون. وفى قوله : ﴿وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين﴾ الأنبياء . وفى قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ المائدة. وقوله سبحانه: ﴿والذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ الإسراء . وفى قوله ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبك﴾آل عمران .وقوله جل جلاله : ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾المائدة . وقوله تعالى : ﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا

بربكم فآمنا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾آل عمران. وفى قوله ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾الأعراف. وقوله : ﴿ واسجد واقترب ﴾العلق .

٢- إخبار رسوله ﷺ عن ذلك بقوله « إن الله طيب فلا يقبل إلا طيبا » . وفى قوله :« « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة» . وفى قوله فيما يرويه عن ربه سبحانه : «وماتقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه»(١) . وفى قوله فيما يرويه عن ربه عز وجل « إن تقرب منى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»(٢). وفى قوله فى حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة إذ توسل أحدهم ببر والديه، والثانى يترك ماحرم الله تعالى ، والثالث برد حق إلى مستحقه مع تنميته له بعد أن قال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا صالحة عملتموها فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، ففرج عنهم الصخرة وخرجوا من الغار سالمين(٣). وفى قوله عليه الصلاة والسلام : أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد»(٤). وفى قوله : أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو عملته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى، وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى(٥). وفى قوله ﷺ «لقد سأل هذا

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه البخارى.

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم وغيره .

(٥) رواه أحمد بسند حسن.

باسم الله الأعظم الذى ما سئل به إلا أعطى ، وما دعى به إلا أجاب».

٣- ماورد من توسل الأنبياء فى القرآن الكريم، وأن توسلهم كان باسمائه تعالى وصفاته، وبالإيمان والعمل الصالح، ولم يكن بغير ذلك أبدا، فيوسف عليه السلام قال فى توسله : ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخر توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾ يوسف وذو النون قال ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ الأنبياء . وموسى قال : ﴿رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له﴾ سورة القصص . وقال : ﴿إنى عذت بربى وربكم﴾ غافر. وإبراهيم وإسماعيل قالا: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ البقرة. وآدم وحواء قالا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ الأعراف.

الأدلة العقلية :

١- غنى الرب وافتقار العبد أمر يقتضى أن يتوسل العبد الفقير إلى الرب الغنى عز وجل، كى ينجو العبد الفقير الضعيف مما يرهب، ويظفر بما يحب ويرغب.

٢- عدم معرفة العبد مايحبه الرب تبارك وتعالى وما يكرهه من الأفعال والأقوال أمر يقتضى أن تكون الوسيلة محصورة فيما شرع الله وبين رسوله من أقوال طيبة وأعمال صالحة، تفعل، أو أقوال خبيثة، وأعمال فاسدة تجتنب وتترك.

٣- كون جاه ذى الجاه من غير كسب الإنسان، ولا من عمل يديه أمر يقتضى أن لايتوسل به إلى الله تعالى ، لأن جاه شخص ما- ومهما كان عظيما- لايكون قربة لشخص آخر يتقرب بها إلى الله تعالى ويتوسل، اللهم إلا

إذا كان قد عمل بجوارحه أو ماله على إيجاد جاه صاحب الجاه، فعند ذلك له أن يسأل الله به لأنه أصبح من كسبه وعمل يديه إن كان قد عمل ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى ، وابتغاء مرضاته.

فى أولياء الله و كراماتهم وأولياء الشيطان و ضلالاتهم

أ- أولياء الله تعالى :

يؤمن المسلم بأن الله تعالى من عباده أولياء استخلصهم لعبادته، واستعملهم فى طاعته وشرفهم بمحبته، وأنالهم من كرامته، فهو وليهم يحبهم ويقربهم، وهم أولياؤه يحبونه ويعظمونه، يأتمرون بأمره، وبه يأمرون، وينتهون بنهيه وبه ينهون، يحبون بحبه، ويبغضه يبغضون ، إذا سألوه أعطاهم ، وإذا استعانوه أعانهم، وإذا استعاذوا به أعاذهم، وأنهم هم أهل الإيمان والتقوى، والكرامة والبشرى فى الدنيا وفى الأخرى وأن كل مؤمن تقى هو لله ولى، غير أنهم يتفاوتون فى درجاتهم بحسب تقواهم وإيمانهم، فكل من كان حظه من الإيمان والتقوى أوفى ، كانت درجته عند الله أعلى وكانت كرامته أوفر، فسادات الأولياء هم المرسلون والأنبياء، ومن بعدهم المؤمنون.

وأن مايجريه الله على أيديهم من كرامات كتكثير القليل من الطعام، أو إبراء الأوجاع والأسقام، أو خوض البحار، أو عدم الاحتراق بالنار وما إليه هو من جنس المعجزات غير أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدى(١) والكرامة. عارية

(١) التحدى : كأن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : أرأيتم إذا جئتكم بكذا وكذا أتصدقونى؟ وإلا فسوف يعذبكم الله على عدم إيمانكم بعد ظهور المعجزة لكم.

عنه غير مرتبطة به. وإن من أعظم الكرامات الاستقامة على الطاعات بفعل المأمورات الشرعية، واجتناب المحرمات والمنهبات.

وذلك للأدلة الآتية :

١- إخباره تعالى عن أوليائه وكرامتهم فى قوله : ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنياوفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾يونس . وفى قوله تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ البقرة. وفى قوله : ﴿ وماكانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾ الأنفال. وفي قوله :﴿إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ الأعراف. وفى قوله سبحانه: ﴿ كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ يوسف. وفى قوله تعالى : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ الإسراء. وقوله :﴿كلما دخل عليه زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا؟. قالت هو من عند الله﴾ آل عمران. وفى قوله :﴿ وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾ الصافات. وفى قوله : ﴿فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا﴾ مريم. وفى قوله : ﴿قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ الأنبياء. وفى قوله : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا أتنا من لدنك رحمة، وهيىء لنا من أمرنا رشدا، فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم﴾ الكهف.

٢- إخبار رسول الله عن أولياء الله وكراماتهم فى قوله فيما يرويه عن ربه عز وجل « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»[١] . وفي قوله أيضا :« إنى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب . وفى قوله ﷺ :« إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم» [٢]. وفى قوله « لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن كان فى أمتى أحد فإنه عمر»[٣]. وفى قوله عليه الصلاة والسلام « كانت امرأة ترضع ولدها فرأت رجلا على فرس فاره فقالت: اللهم اجعل ولدى مثل هذا . فالتفت إليه الطفل وهو يرضع وقال : اللهم لاتجعلنى مثله»[٤] فنطق الرضيع كرامة للولد والوالد. وفى قوله فى جريج العابد وأمه ، إذ قالت أمه«اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات». فاستجاب الله كرامة منه تعالى لها، وقال ولدها جريج لما اتهموه بأن ولد البغى منه، قال للولد الرضيع من أبوك؟. فقال: راعى الغنم»[٥]. فنطق الرضيع كرامة لجريج العابد. وقوله فى أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله وتوسلوا إليه بصالح أعمالهم، فاستجاب الله لهم وفرجها عنهم حتى خرجوا سالمين كرامة لهم.[٦] وفى قوله فى حديث الراهب والغلام إذ جاء فيه: أن الغلام رمى الدابة التى كانت قد منعت الجماهير من المرور ، رماها بحجر فماتت ومر الناس، فكانت كرامة للغلام، كما أن الملك قتل الغلام بشتى الوسائل فلم يفلح حتى رماه

---

(١) تقدم

(٢) متفق عليه بلفظ : أن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) متفق عليه.

من جبل شاهق ولم يمت، وقذفه في البحر فخرج منه يمشى ولم يمت، فكان ذلك كرامة للغلام المؤمن الصالح(١).

٣- مارواه آلاف العلماء وشاهدوه(٢). من أولياء وكرامات لهم تفوق الحصر. ومن ذلك ماروى أن الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضى الله عنه. وأن سلمان الفارسى وأبا الدرداء رضى الله عنهما كانا يأكلان فى صحفة فسبحت الصحفة أو الطعام فيها. وأن خبيبا رضى الله عنه كان أسيرا عند المشركين بمكة فكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة من عنب، وأن البراء بن عازب رضي الله عنه كان إذا أقسم على الله فى شىء استجاب الله له حتى كان يوم القادسية أقسم على الله أن يمكن المسلمين من رقاب المشركين وأن يكون أول شهيد فى المعركة فكان كما طلب. وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يخطب على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فإذا به يقول : ياسارية الجبل! ياسارية الجبل! يوجه قائد معركة يقال له : سارية، فسمع سارية صوته وانحاز بالجيش إلى الجبل فكان فى ذلك نصرهم، وانهزام أعدائهم من المشركين. ورجع سارية فأخبر عمر والصحابة بما سمع من صوت عمر رضى الله عنه. وأن العلاء بن الحضرمى رضي الله عنه كان يقول فى دعائه:: ياعليم ياحكيم ياعلى يا عظيم فيستجاب له حتى أنه خاض البحر بسرية معه فلم تبتل سروج خيولهم وأن الحسن البصرى دعا الله على رجل كان يؤذيه فخر ميتا فى الحال. وأن رجلا من النخع كان له حمار فمات له في طريق سفره فتوضأ وصلي ركعتين ودعا الله عز وجل فأحيا له حماره وحمل عليه متاعه، إلى غير ذلك من الكرامات التى لاتعد ولا تحصى، والتى شاهدها آلاف الناس بل ملايين البشر.

---

(١) البخارى.

(٢) أغلب هذه الآثار فى الصحيح والسنن الصحيحة والآثار المنقولة المتواترة.

ب- أولياء الشيطان :

كما يؤمن المسلم بأن للشيطان من الناس أولياء استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله وسول لهم الشر، وأملى لهم الباطل فأصمهم عن سماع الحق. وأعمى أبصارهم عن رؤية دلائله فهم له مسخرون، ولأوامره مطيعون، يغريهم بالشر، ويستهويهم إلى الفساد بالتزين حتى عرف لهم المنكر فعرفوه، ونكر لهم المعروف فأنكروه، فكانوا ضد أولياء الله وحربا عليهم وعلى النقيض منهم، أولئك والوا الله، وهؤلاء عادوه أولئك أحبوا الله وأرضوه، وهؤلاء أغضبوا الله وأسخطوه فعليهم لعنة الله وغضبه، ولو ظهرت على أيديهم الخوارق كأن طاروا في السماء ؛ أو مشوا علي سطح الماء ، إذ ليس ذلك إلا استدراجا من الله لمن عاداه، أو عونا من الشيطان لمن والاه، وذلك للأدلة التالية:

١- إخباره تعالي عنهم فى قوله : ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة. وفى قوله : ﴿إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ الأنعام. وفى قوله : ﴿ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله﴾ الأنعام. وفى قوله سبحانه: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ الزخرف. وفى قوله : ﴿إجنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنو﴾ . الأعراف. وفى قوله : ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ الأعراف. وفى قوله : ﴿وقبضنيا لهم قرنا ، فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم﴾ فصلت. وفى قوله : ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهو لكم عدو ؟﴾ الكهف.

٢- إخبار الرسول عليه السلام بذلك فى قوله لما رأى نجما قد رمى به فاستنار قال مخاطبا أصحابه : « ماكنتم تقولون لمثل هذه فى الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم، فقال إنه لايرمى به لموت أحد، ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبروهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع فيرمون، فيقذفونه إلى أوليائهم فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون(١). وفى قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الكهان فقال : ليسوا بشئ فقالوا: نعم إنهم يحدثوننا أحيانا بشئ فيكون حقا فقال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقرها فى أذن وليه فيجعلون معها مائة كذبة(٢). وفى قوله :«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه» (٣). وفى قوله :« إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق فضيقوا عليه مجاريه بالصوم»(٤) .

٣- ما رآه وشاهده مئات ألوف البشر من أحوال شيطانية غريبة فى كل زمان ومكان تقع لأولياء الشيطان، فمنهم من كان يأتيه الشيطان بأنواع من الأطعمة والأشربة ومنهم من يقضى له الشيطان حاجاته ومنهم من يكلمه بالغيب ويطلعه على بعض بواطن الأمور وخفاياها! ومنهم من يمنع نفوذ السلاح إليه. ومنهم من يأتيه الشيطان فى صورة رجل صالح عندما يستغيث بذلك الصالح

(١) مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) البخارى.

(٣) مسلم.

(٤) ورد فى الصحيحين بلفظ آخر.

لتغريره وتضليله وحمله على الشرك بالله ومعاصيه، ومنهم من قد يحمله إلى بلد بعيد أو يأتيه بأشخاص أو حاجات من أماكن بعيدة، إلى غير ذلك من الأعمال التى تقوى على فعلها الشياطين ومردة الجان وخبثاؤهم.

وتحصل هذه الأحوال الشيطانية نتيجة لخبث روح الأدمى بما يتعاطى من ضروب الشر والفساد والكفر والمعاصى البعيدة عن كل حق وخير، وإيمان وتقوى و صلاح حتى يبلغ الأدمى درجة من خبث النفس وشرها يتحد فيها مع أرواح الشياطين المطبوعة على الخبث والشر، وعندئذ تتم الولاية بينه وبين الشياطين فيوحى بعضهم إلى بعض، ويخدم بعضهم بعضا كل بما يقدر عليه ولذا لما يقال لهم يوم القيامة: ﴿ يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ يقول أولياؤهم من الإنس :﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ الأنعام.

وأما الفرق بين كرامة أولياء الله وبين الأحوال الشيطانية فإنه يظهر فى سلوك العبد وحاله ، فإن كان من ذوى الإيمان والتقوى المتمسكين بشريعة الله ظاهرا وباطنا فما يجرى على يديه من خارقة هو كرامة من الله تعالى له. وإن كان من ذوى الخبث والشر والبعد عن التقوى المنغمسين فى ضروب المعاصى المتوغلين فى الكفر والفساد فما يجرى على يديه من خارقة إنما هو من جنس الاستدراج أو منه خدمة أوليائه من الشياطين له، ومساعدتهم إياه.

الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أ- فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

يؤمن المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل مسلم مكلف قادر علم بالمعروف ورآه متروكا؛ أو علم بالمنكر ورآه مرتكبا؛ وقدر على

الأمر أو التغير لبيده أو لسانه.

وأنه من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان بالله تعالى : إذ ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز مقرونا بالإيمان به عز وجل ؛ قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران.
وذلك للأدلة النقلية السمعية والعقلية المنطقية الآتية:

الأدلة النقلية :

١- أمره تعالى به فى قوله : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ وأولئك هم المفلحون ﴾ آل عمران.

٢- إخباره تعالى عن أهل نصرته وولايته بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في قوله : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ الحج. وفى قوله : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ التوبة.

وفى قوله سبحانه فيما أخبر به عن وليه لقمان عليهي السلام وهو يعظ ابنه: ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ لقمان. وفى قوله تعالى فيما نعاه على بنى إسرائيل: ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ المائدة. وفى قوله تعالى فيما ذكره عن بنى إسرائيل من أنه تعالي نجى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهلك التاركين لذلك: ﴿ وأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ الأعراف.

٣- أمر الرسول ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١) . وفى قوله «لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه؛ ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(٢).

٤- إخباره ﷺ فى قوله :« مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعلوا؛ إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» (٣). وفى قوله لأبى ثعلبة الخشنى لما سأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لايضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال :«ياثعلبة ؛ مر بالمعروف وإنه عن المنكر؛ فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك؛ ودع عنك العوام. إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم؛ للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل: بل منهم يارسول الله ؛ قال : لا؛ بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا؛ ولا يجدون عليه أعوانا(٤). وفى قوله ﷺ : «مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته؛ ويقتدون بأمره؛ ثم إنهم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ؛ ويفعلون مالا يؤمرون ؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن؛ ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن؛ ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (٥). وقوله عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن أفضل الجهاد؛ فقال :«كلمة حق عند سلطان جائر»(٦).

---

(١) مسلم. (٢) الترمذى وحسنه.

(٣) الترمذى وقال فيه حسن صحيح.

(٤) أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه.

(٥) مسلم . (٦) ابن ماجة وأحمد والنسائى وهو صحيح.

الأدلة العقلية :

١- لقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن المرض إذا أهمل ولم يعالج استشرى في الجسم؛ وعسر علاجه بعد تمكنه من الجسم واستشرائه فيه؛ وكذلك المنكر إذا ترك فلم يغير فإنه لايلبث أن يألفه الناس ويفعله كبيرهم وصغيرهم؛ وعندئذ يصبح من غير السهل تغيره؛ أو إزالته؛ ويومها يستوجب فاعلوه العقاب من الله؛ العقاب الذى لا يمكن أن يتخلف بحال، إذا أنه جار على سنن الله لاتتبدل ولا تتغير: ﴿سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ .

٢- حصل بالمشاهدة أن المنزل إذا أهمل؛ ولم تبعد منه النفايات والأوساخ فترة من الزمان يصبح غير صالح للسكن؛ إذ تتعفن ريحه؛ ويتسمم هواؤه؛ وتنتشر فيه الجراثيم والأوبئة لطول ما تراكمت فيه الأوساخ؛ وكثرة ماتجمعت القاذورات. وكذلك الجماعة من المؤمنين إذا أهمل فيهم المنكر فلا يغير؛ والمعروف فلا يؤمر به لا يلبثون أن يصبحوا خبثاء الأرواح شريرى النفوس؛ لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا؛ ويومئذ يصبحون غير صالحين للحياة؛ فيهلكهم الله بما شاء من أسباب ووسائط؛ وإن بطش ربك لشديد؛ والله عزيز ذو انتقام.

٣- عرف بالملاحظة أن النفس البشرية تعتاد القبيح فيحسن عندها؛ وتألف الشر فيصبح طبيعة لها؛ فذلك شأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ فإن المعروف إذا ترك ولم يؤمر به ساعة تركه لايلبث الناس أن يعتادوا تركه؛ ويصبح فعله عندهم من المنكر وكذلك المنكر إذا لم يبادر إلى تغييره وإزالته لم يمض يسير من الزمن حتى يكثر وينتشر؛ ثم ويعتاد ويؤلف ويصير فى نظر مرتكبه غير منكر؛ بل يرونه هو المعروف بعينه؛ وهذا هو انطماس البصيرة والمسخ الفكرى ؛ والعياذ بالله تعالى . من أجل هذا أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ وأوجباه فريضة على المسلمين إبقاء لهم على طهرهم وصلاحهم؛ ومحافظة لهم على شرف مكانتهم بين الأمم والشعوب.

ب- آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

١- أن يكون عالما بحقيقة مايأمربه من أنه معروف فى الشرع وأنه قد ترك بالفعل، كما يكون عالما بحقيقة المنكر الذى ينهى عنه ويريد تغيره؛ وأن يكون قد ارتكب حقيقة؛ وأنه مما ينكر الشرع من المعاصى والمحرمات.

٢- أن يكون ورعا لا يأتى الذى ينهى عنه؛ ولايترك الذى يأمر به لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ﴾ الصف. وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعلقون ﴾ البقرة.

٣- أن يكون حسن الخلق حليما يأمر بالرفق، وينهى باللين، لا يجد فى نفسه إذا ناله سوء ممن نهاه ولا يغضب إذا لحقه أذى ممن أمره ؛ بل يصير ويعفو ويصفح لقوله تعالى :﴿ وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ؛ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ لقمان.

٤- أن لايتعرف إلى المنكر بواسطة التجسس؛ إذ لاينبغى لمعرفة المنكر أن يتجسس على الناس فى بيوتهم ؛ أو يرفع ثياب أحدهم ليرى ماتحتها؛ أو يكشف الغطاء ليعرف ما فى الوعاء ؛ إذ الشارع أمر بستر عورات الناس؛ ونهى عن التجسس عليهم. قال تعالى : ﴿ ولاتجسسوا ﴾ الحجرات. وقال رسول الله ﷺ «لاتجسسوا»[1]. وقال عليه أزكى الصلاة والسلام: «من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة»[2] .

٥- قبل أن يأمر من أراد أمره أن يعرفه بالمعروف ؛ إذ قد يكون تركه له

---

(١) البخارى فى حديث أوله:« إياكم والظن..»

(٢) مسلم فى حديث أوله :« من نفس عن مؤمن كربة..».

لكونه لم يعرفه أنه من المعروف، كما يعرف من أراد نهيه عن المنكر بأن مافعله من المنكر.

٦- أن يأمر وينهى بالمعروف؛ فإن لم يفعل التارك للمعروف ولم يترك المرتكب المنهى وعظه بما يرقق قلبه بذكر ماورد في الشرع من أدلة الترغيب والترهيب فإن لم يحصل امتثال ، استعمل عبارات التأنيب والتعنيف، وإغلاظ في القول، فإن لم ينفع ذلك غير المنكر بيده، فإن عجز استظهر عليه بالحكومة أو بالإخوان.

٧- فإن عجز عن تغيير المنكربيده ولسانه بأن خاف على نفسه. أو ماله ، أو عرضه، وكان لايطيق الصبر على مايناله اكتفى بتغيير المنكر بقلبه، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام"«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع...»الحديث.

الإيمان بوجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وأفضليتهم وإجلال أئمة الإسلام وطاعة ولاة أمور المسلمين

يؤمن المسلم بوجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته وأفضليتهم على سواهم ،من المؤمنين والمسلمين، وأنهم فيما بينهم متفاوتون فى الفضل، وعلو الدرجة بحسب أسبقيتهم فى الإسلام.

فأفضلهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين، ثم العشرة المبشرون بالجنة، وهم الراشدون الأربعة، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد،

وأبو عبيدة عامر ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، ثم أهل بدر، ثم المبشرون بالجنة من غير العشرة كفاطمة الزهراء ، وولديها الحسنين. وثابت بن قيس، وبلال بن رباح وغيرهم، ثم أهل بيعة الرضوان وكانوا ألفا وأربعمائة صحابى رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

كما يؤمن المسلم بوجوب إجلال أئمة الإسلام واحترامهم وتوقيرهم والتأدب معهم عند ذكرهم، وهم أئمة الدين وأعلام الهدى كالقراء والفقهاء والمحدثين والمفسرين من التابعين وتابعى تابعيهم، رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين.

كما يؤمن المسلم بواجب طاعة ولاة أمور المسلمين وتعظيمهم واحترامهم والجهاد معهم والصلاة خلفهم وحرمة الخروج عليهم، ولذا فهو يلتزم حيال كل هؤلاء المذكورين بآداب خاصة.

أما أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته فإنه :

١- يحبهم لحب الله وحب رسوله ﷺ لهم، إذ أخبر تعالى أنه يحبهم ويحبونه فى قوله : ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ المائدة. كما قال في وصفهم : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الحجرات. وقال رسول الله ﷺ :«الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد أذانى. ومن آذانى فقد أذى الله، ومن أذى الله يوشك أن يأخذه»(١).

٢- يؤمن بأفضليتهم علي غيرهم من سائر المؤمنين والمسلمين لقوله تعالى

---

(١) الترمذى وحسنه.

في ثنائه عليهم: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ التوبة.

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:« لاتسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١).

٣-أن يرى أبا بكر الصديق أفضل أصحاب رسول الله ومن دونهم على الإطلاق، وأن الذين يلونه فى الفضل هم :عمر، عثمان، ثم على رضى الله تعالى عنهم أجمعين وذلك لقوله ﷺ «لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى»(٢) . وقول ابن عمر رضى الله عنهما :«وكنا نقول والنبى ﷺ حى : أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم على ، فبلغ النبى ﷺ فلم ينكرها »(٣). ولقول على رضى الله عنه:«خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث -يعنى عثمان-»(٤) رضى الله عنهم أجمعين.

٤-أن يقر بمزاياهام، ويعترف بمناقبهم كمنقبة أبى بكر وعمر وعثمان فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأحد وقد رجف بهم وهم فوقه:«اسكن أحد إنما عليك نبى وصديق وشهيدان» . وكقوله لعلي رضى الله عنه: « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » ؟ وقوله : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». وكقوله للزبير ابن العوام : « إن لكل نبى حوارى ، وإن حواريى الزبير بن العوام». وكقوله فى الحسن والحسين «اللهم أحبهما فإنى أحبهما». وكقوله

---

(١) أبو داود بإسناد حسن.

(٢) رواه أبو داود باسناد حسن.

(٣، ٤ ، ٥) رواه البخارى .

لعبد الله بن عمر، «إن عبد الله رجل صالح»[١] . وكقوله لزيد بن حارثة «أنت أخونا ومولانا»[٢] .وقوله لجعفر بن أبي طالب:« أشبهت خلقى وخلقى»[٣]. وقوله لبلال بن رباح:«سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة». وكقوله فى سالم مولى أبى حذيفة، وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل:«استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم موليى أبى حذيفة، وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل» . وكقوله فى عائشة :«وفضل عائشة على النساء. كفضل الثريد على سائر الطعام» [٤]. وكقوله فى الأنصار:« لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت فى وادى الأنصار[٥]. ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار». وقال :«الأنصار لايحبهم إلا مؤمن. ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»[٦]. وكقوله فى سعد بن معاذ :«اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»[٧]. وكمنقبة أسيدبن حضير إذ كان مع أحد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت رسول الله ﷺ فى ليلة مظلمة فلما خرجا، وإذا نور بين أيديهما يمشيان فيه فلما تفرقا تفرق النور معهما[٨]. وكقوله لأبى بن كعب :« إن الله أمرنى أن أقرأ عليك: لم يكن الذين كفروا، قال :وسمانى ؟ قال : نعم ، فبكى أبى»[٩] . وكقوله فى خالد بن الوليد :سيف من سيوف الله مسلول[١٠] . وكقوله فى الحسن: « ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين». وكقوله فى أبى عبيدة:«لكل أمة أمين، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح[١١] . رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين.

٥- يكف عن ذكر مساوئهم، ويكست فى الخلاف الذي شجر بينهم ، لقول الرسول ﷺ:«لاتسبوا أصحابى». وقوله « لاتتخذوهم غرضا بعدى». وقوله:« فمن آذاهم فقد آذانى . ومن آذانى فقد أذى الله، ومن أذي الله يوشك أن يأخذه».

(١ ـ ١١) رواها البخارى .

٦- أن يؤمن بحرمة زوجات الرسول ﷺ وأنهن طاهرات مبرآت، وأن يترضى عنهن، ويرى أن أفضلهن خديجة بنت خوليد، وعائشة بنت أبى بكر، وذلك لقول الله تعالى :﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ الأحزاب .

وأما يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويعترف لهم بالفضل، لأنهم ذكروا فى قوله تعالى والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، وفى قول الرسول ﷺ:«خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» . فعامة القراء والمحدثين والفقهاء والمفسرين كانوا من أهل هذه القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير. وقد أثنى الله على المستغفرين لمن سبقوا بالإيمان فى قوله:﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهو إذا يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات ﴾ الحشر.

٢-لايذكرهم إلا بخير، ولا يعيب عليهم قولها ولا رأيا. ويعلم أنهم كانوا مجتهدين مخلصين فيتأدب معهم عند ذكرهم، ويفضل رأيهم على رأى من بعدهم وما رأوه على مارآه من أتى بعدهم من علماء وفقاء ومفسرين ومحدثين، ولايترك قولهم إلا لقول الله أو قول رسوله، أو قول صحابته رضوان اللهم عليهم أجمعين.

٣- أن مادونه الأئمة الأربعة: مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة، وما رأوه وقالوه من مسائل الدين والفقه، والشرع هو مستمد من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ ، وليس لهم إلا مافهموه من هذين الأصلين، أو استنبطوه منهما، أو قاسوه عليهما، إذا أعوزهما النص منهما أو الإشارة، أو الإيماء فيهما.

٤- يرى أن الأخذ بما دونه أحد هؤلاء الأعلام من مسائل الفقه والدين

جائز وأن العمل به عمل بشريعة الله عز وجل ما لم يعارض بنص صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فلا يترك قول الله ، أو قول رسوله ﷺ لقول أحد من خلقه كائنا من كان وذلك لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ الحجرات. وقوله : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، ومانهاكم عنه فانتهو﴾ الحشر، وقوله :﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ الأحزاب. وقوله ﷺ :« من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» . وقوله : «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»(١).

٥- يرى أنهم بشر يصيبون ويخطئون، فقد يخطئ أحدهم الحق فى مسألة مامن المسائل، لا عن قصد وعمد- حاشاهم- ولكن عن غفلة أو سهو، أو لنسيان، أو عدم إحاطة، فلهذا المسلم لايتعصب لرأى أحدهم دون آخر بل له أن يأخذ عن رأى أى واحد منهم ، ولايرد قولهم إلا لقول الله ، أو قول رسول الله ﷺ.

٦- يعذرهم فيما اختلفوا فيه من بعض مسائل الدين الفرعية، ويرى أن اختلافهم لم يكن جهلا منهم ، ولا عن تعصب لأرائهم، وإنما كان : إما أن المخالف لم يبلغه الحديث، أو رأى نسخ هذا الحديث الذى لم يأخذ به، أو عارضه حديث آخر بلغه فرجحه عليه ، أو فهم، منه مالم يفهمه غيره، إذ من الجائز أن تختلف الأفهام فى مدلول اللفظ فيحمله كل على فهمه الخاص، ومثال هذا ما فهمه الإمام الشافعى، رحمه الله، من نقض الوضوء بمس المرأة مطلقا فهما من قوله تعالى :﴿أو لامستم النساء﴾ فقد فهم من ﴿أو لامستم﴾ المس، ولم يره غيره فقال بوجوب الوضوء لمجرد مس المرأة ، وفهم غيره أن المراد الملامسة فى الأية

(١) رواه النووى وقال فيه حسن بحبح .

الجماع فلم يوجبوا الوضوء بمجرد المس بل لابد من قدر زائد كالقصد ووجود اللذة.

وقد يقول قائل: لم لايتنازل الشافعى عن فهمه ليوافق باقى الأئمة، ويقطع دابر الخلاف عن الأمة؟.

الجواب : أنه لايجوز له أبدا أن يفهم عن ربه شيئا لايخالجه فيه أدنى ريب ثم يتركه لمجرد رأى أو فهم إمام آخر فيصبح متبعا لقول الناس تاركا لقول الله، وهو من أعظم الذنوب عند الله سبحانه وتعالى.

نعم . لو أن فهمه من النص عارضه نص صريح من كتاب أو سنة لوجب عليه التمسك بدلالة النص الظاهرة، ويترك مافهمه من ذلك اللفظ الذى دلالته ليست نصا صريحا ولاظاهرا. إذا لو كانت دلالته قطعية لما اختلف فيها اثنان من عامة الأمة فضلا عن الأئمة.

وأما ولاة أمور المسلمين فإنه :

١- يرى وجوب طاعتهم لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ النساء. ولقول الرسول ﷺ واسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبه» (١). وقوله « من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى»(٢).

ولكن لايرى طاعتهم في معصية الله عز وجل، لأن طاعة الله مقدمة على طاعتهم فى قوله تعالى : ﴿ولا يعصينك فى معروف﴾. ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «إنما الطاعة فى المعروف » (٣). وقال أيضا:« لاطاعة فى

(١ ، ٢) رواه البخارى .   (٣) متفق عليه .

معصية الخالق»[١] . وقوله : « لاطاعة فى معصية الله». وقال أيضا عليه الصلاة والسلام:«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٢].

٢- يرى حرمة الخروج عليهم، أو إعلان معصيتهم لما فى ذلك من شق عصا الطاعة على سلطان المسلمين، ولقول الرسول ﷺ :«من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» . وقوله من أهان السلطان أهانه الله».

٣- أن يدعو لهم بالصلاح والسداد والتوفيق والعصمة من الشر ومن الوقوع فى الخطأ، إذ صلاح الأمة فى صلاحهم، وفسادها بفسادهم، وأن ينصح لهم فى غير إهانة وانتقاص كرامة، لقوله ﷺ «الدين النصيحة، قلنا لمن؟. قال لله ، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».[٣]

٤- أن يجاهد وراءهم ويصلى خلفهم، وإن فسقوا وارتكبوا المحرمات التى هى دون الكفر لقوله عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن طاعة أمراء السوء:«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليه ماحملوا وعليكم ماحملتم»[٤] . ولقول عبادة بن الصامت: « بايعنا رسول الله على السمع والطاعة فى منشطنا ومكهرنا وعسرنا ويسرنا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن كفرا بواحا [٥] عندكم فيه من الله برهان»[٦].

---

(١) أحمد والحاكم وصححه .

(٢) متفق عليه .

(٣، ٤) رواه مسلم.

(٥) ظاهر مكشوفاً.

(٦) البرهان : الدليل والحجة .

الشيخ / بكر محمد ابراهيم

صدر عن المؤلف

١ - عجائب الكلام .

٢ - الدعاء والموعظة فى القرآن والسنة .

٣ - عودة إلى طب الأعشاب .

٤ - حقائق الإسراء والمعراج .

٥ - خبر يأجوج ومأجوج .

تحت الطباعة :

١ - حقيقة الصوفية .

٢ - الحيوان فى العلم والسنة والقرآن .

٣ - قدرة الله فى خلق السموات والأرض .

٤ - كيف تكلم الموتى .

٥ - قدرة الله فى خلق الجن .

٦ - قدرة الله فى خلق الملائكة .

٧ - تراجم الأقدمين والمحدثين من العلماء والمشاهير.

٨ - مسائل فى أصول الفقه .

٩ - هدى الرسول ﷺ فى الجهاد والعمرة .

١٠ - الأخبار الدقيقة فى بدء الخليقة .

١١ - الانسان هو البشر .

الفهرست